

بعض شخصيات الرواية حقيقية تم استخدامها في إطار خيالي .

obeikan.com

أغلب الناس لا يعيشون، هم فقط موجودون .

أوسكار وايلد .

obeikan.com

(1)

يوشك جهاز (نبضات القلب) أن يستقيم خطه الأخضر ذو الخطوط المتعرجة التي تشبه إلى حدٍ ما تعرجات الهضاب على أرض صحراوية جرداء، يضرب بإيقاعه الرتيب صدور كل من له أذنان. أنبوب التنفس الملتصق بأنفه المتوسط الحجم يتغيم بزفيره المتصاعد من فتحتي أنفه، صدره يهبط ويعلو في سباق لا ينتهي، تبرز من جفنيه حركة ترددية توضح تحرك حدقتي عينيه المغلقتين من الشمال للجنوب ومن الشرق للغرب بلا توقف .

إنها النهاية ، وعند النهاية تمر اللحظات مُجمدة .

ثلاث من الأطباء يسعون لإيقاظ تلك الجثة الراقدة أمامهم على السرير الأبيض، يرتدون القفازات وغطاء الأنف ورداءهم المائل للزُرقة ، يتصبب العرق من جبين أحدهم فيمسحه بكف قميصه .. غيوم التوتر تُحلق في سقف غرفة الإنعاش ..

الإنعاش

إنعاش

إن عاش

يضرب (هشام) الحائط بقبضة يده، تلعه يده، دائما ما كان يؤمن أن كل شيء قادر على الكلام .. كان يسمع يده تلعه عندما تحمل ما يفوق طاقتها، وقدمه تشتكى طول الطريق .

لا نوافذ يرى منها صديقه، روج له صنّاع الأفلام نوافذ ترى منها العملية بوضوح تام .. ترى توتر الأطباء وجهاز نبضات القلب وأدواتهم التي استعملها صنّاع أفلام الرعب فيما بعد لقتل الضحايا وحبس أنفاس المتابعين .

الإنعاش

إنعاش

إن عاش

الجاذبية تسحبه لأسفل ، يسقط ، لا يرى مُستقره، لا يرى مصدر الجاذبية، كل ما يراه .. لا شيء !

نفق مُظلم قاتم السواد والأعماق بلا قمر يتغذى على ضوئه..
يسقط لأسفل بلا مُستقر .. لا نهاية للنفق ، رأسه لأسفل وجسده
مستقيم لا يتحرك .. فقد القدرة على تحريكه ولا يدري متى ، عيناه
تبحثان عن شيء تلتهمانه، ولكن الظلام ابتلع كل شيء هنا ولا
وجود لنقيضه ليحاربه .

في النهاية لا مفر من الاستسلام التام .
المقاومة الآن أشد من الغباء .
الآلام تعتصره فترك زمام المقاومة .. غاب حارس المرمى ليسدد الألم
ضربته الأقوى والأمثل .. إنه وقت انتصار فريق الآلام .
السلام الداخلي .
الاستسلام .

هناك ما يجعل جسده بحجم الريشة، ربما لم تعد الأشياء هنا مقياساً
مناسباً للحجم، فكان جسده خفيفاً بوزن الريشة ويسقط بسرعة
الصواريخ .
لا شيء يمر بعقله ذو فائدة، لا يوجد شيء مهم أو غير مهم، اختفى
عنصر التضاد فاختلفت المعاني .
الاستسلام .
السلام الداخلي .

ضوء أبيض قذف به الظلام بنهاية النفق ، عيناه مثبتتان عليه .. ليس
بالضوء المبهر ولكن الظلام جعله أكثر إبهاماً من برج إيفل .منتصف
الليل، أكثر إبهاماً من أضواء لاس فيجاس .
يولد بداخله خليط من المشاعر صعبة الوصف، السلام، الراحة،
الفرحة، الملاذ الأخير ..
ملاذ ما بعد النهاية .
يسقط باتجاه الضوء .. يستسلم .. ييتسم ..
السلام الداخلي .
الاستسلام .

(2)

التقط الرئيس (محمد حسنى مبارك) الميكروفون وسط صياح الجماهير بستاذ (برج العرب) وقال بصوت رتيب سريع وكأنه فى سباق : « بسم الله .. نبدأ بطولة كأس العالم .. للشباب .. لكرة القدم .. تحت عشرين سنة .. مصر ٢٠٠٩ .. شكراً »
 هنا بالذات ازدادت الصيحات والهتاف واهتزت المدرجات مما تحمل وتتحمل من بشر .

رتب (هشام) على كتف (أحمد هلال) فشعر بارتجافه كلما ارتفعت أصوات الجماهير : « بالتوفيق يا هلال . »
 نظر له (أحمد) وابتسم بينما يستعد باقى اللاعبين فى الغرفة الخاصة بهم للمباراة الافتتاحية الأولى بين (مصر) و(ترينيدادوتوباجو).
 قمصانهم الحمراء يتصاعد منها القلق والخوف .. هى أولى المباريات لهم بين هذا الكم من الجماهير .. الصوت الرتيب لرئيس الجمهورية زاد من توترهم .

(رئيس الجمهورية) : هو أسطورة لا تستطيع رؤيته إلا من خلال شاشة التلفاز أو الكمبيوتر ، وإن حدثت المعجزة ورأيته أمامك فى يوم .. يجب أن تقدم أفضل ما لديك كقربان مقابل رؤية وجهه

الكريم .

وقف (أحمد هلال) أمام المرأة ينظر لقميصه الأحمر الذى يحمل علامة (المنتخب المصري) على صدره ورقم ٣٢ على ظهره وكتب اسمه بحروف إنجليزية كبيرة (H E L A L)، مسح بكفيه وجهه وصوت (عمرو مصطفى) يتردد ويجوب الاستاد حديث العهد بأغنييتين مع الأضواء والاستعراض المبهر .

غادر (هشام) غرفة اللاعبين ليعود لمكانه وسط الجماهير بعدما استأنمه (أحمد) على محفظته وهاتفه الـ(نوكيا) وساعته الـ(كاسيو)، كان دخوله مع (أحمد) معجزة حيث لا يُسمح بدخول هذه الغرفة لغير اللاعبين .. اشترى زجاجة من الماء بأضعاف ثمنها من أحد الباعة بالاستاد .. واتخذ مكانه بأحد المدرجات .

اصطف لاعبو الفريقين على أرض المباراة الخضراء .. تخفق القلوب وترتجف الأقدام لرؤية 80 ألف متابع للمباراة تم توزيعهم على المدرجات ليتراحمون ويتشابكون كالنمل . يغلب عليهم اللون الأحمر والرايات الحمراء المرفوعة وأعلام المنتخب .

بدأت موسيقى النشيد الوطنى الاختلاط بالهواء وتابعتها كلمات النشيد بأصوات الحضور واللاعبين ..

بلادى ، بلادى ، بلادى ..

لكِ حُيى وفؤادى ..

يتقافز الدم ليملاً عروق الوجه، تتسابق قطرات العرق فى الخروج
من مسامات الجلد ..

مصر يا أم البلاد ..

أنتِ غايى والمراد ..

وعلى كُلِّ العباد ..

كَمَ لنيلك من أيادى ..

قفز صوت مدير مدرسة (أحمد) الإعدادية لعقله وهو يصرخ
بالطلاب فى الطابور : « (على كُلِّ) مش كُلِّ العباد ! »
وأيقن أن الوقت ليس بالوقت المناسب لتذكر تلك الأحداث
السخيفة .. ولكن بعض الذكريات تُمرُّ بلا رُسوم للعقل !

بلادى ، بلادى ، بلادى ..

لكِ حُيى وفؤادى ..

(لكِ حُيى) .. مر وجه (دينا) أمامه .. ليست الكُرة فقط ما يعشقها
اللاعب، ولم تُكنَّ الجملة فى النشيد تعنى لأحمد الوطن بقدر ما كانت

تعنى له (دينا) .. ذلك الوطن الدافئ ذا الوجه الصغير الملائكى ،
والعيون السوداء الليلية .. تسأل (أحمد) مرة كيف لعينيها شديدة
السواد أن تتجنب تشويه الضوء لكل ما هو مُظلم .
بعض الذكريات تمر بلا رسوم للعقل !
أخذت عيناه جولة بين المدرجات بحثاً عن وجهها بين آلاف
الوجوه بلا جدوى ..

« أنت سرحان فى إيه يا هلال ؟ »

كان ذلك صوت (أحمد حجازى) لاعب المنتخب المصرى الذى
اختاره المدرب التشيكى (ميروسلاف سوكوب) من شباب
الإسماعيلى ، صاحب الرقم 6 ومتخصص فى مركز خط وسط
مدافع .

استأنف كلامه قائلاً : « أنا مرعوب من المنظر بس ماسك نفسى ،
وبعدين دى فرصتنا .. إمسك نفسك شوية . »

قابل أحمد كلامه بإيماءة صغيرة واصطف مع باقى اللاعبين لالتقاط
الصورة التقليدية قبل بدء المباراة .. وتبادل قائدا الفريقين الأعلام ،
اتخذ لاعبو الفريقين أماكنهم على أرض الملعب الأخضر الحديث ،
مسح أحمد عرقه بكفه العارى وبدأ يتقافز أملاً فى تنشيط عضلات
جسمه ، نظر له (أحمد حجازى) بعينه السوداوين ورفع يده بعلامة

النصر (كف مضموم ويعلوه الإهمام) التي كان يُحب أن يتبادلها معه مُنذ بداية تدريبات المنتخب مُطمئناً إياه .. كانا يتشاركان معاً في أشياء كثيرة مثل الشعر الطويل إلا أن شعر (أحمد) كان أنعم من (حجازي) وطريقة الاستحواذ على الكرة وبعض المهارات الفردية والسن، إذ كان الاثنان من أبناء الثامنة عشر عاماً .. أما ما جعل صداقتهما تتطور بسرعة هو شغفهما بسماع ألبومات (بينك فلويد) أثناء التدريبات الجسدية وخاصة ألبوم (The Dark Side Of The Moon) مما زاد من فترات تدريباتهما بطريقة ملحوظة .

صفر الحكم البلجيكي (فرانك دييليكير) لبدء المباراة وتناقلت الكرة بين الاحذية مُختلفة الألوان للمنتخب .. وهتف المتفرجون بعبارات النصر لجهلهم بأغلب أسماء اللاعبين حتى امتلأ الملعب بالضجيج .

انتقلت الكرة لقدم (أحمد) وتلاقت عيناه بأحد لاعبي المنتخب المنافس يركض نحوه ليقطع الكرة، رفع (طلعت) يده اليمنى مُلوحاً لـ (أحمد) فقذف الكرة نحوه فالتقطها بباطن قدمه وقذفها باتجاه أحد المهاجمين .

* الدقيقة 27 من زمن المباراة *

فتح (هشام) زجاجة المياه المعدنية وعلق رقبتها بفمه لتسرى المياه في حلقه بين صيحات التشجيع .. وعندما انتهى أغلقها بغطائها الأزرق الصغير ..

كابتن

..

كان صوت أحد الجالسين بجواره فالتفت إليه وهو يمسح بكفه العارى الماء الهارب من مسار فمه .
أشرب بس لامؤخدة ..

قذف (هشام) الزجاجة بين كفيه، رن هاتف (أحمد) الـ (النوكيا إن ٧٣) بالعزف المنفرد الأول من أغنية (Time) لـ (بينك فلويد) فأخرجه بهدوء ليجد اسم (دينا) يضيئ على الهاتف .. ضغط على الزر الأخضر وألصق الهاتف بأذنه اليسرى .

كان ضجيج التشجيع واختلاط الحروف المنطلقة من الأفواه يشوش على المكالمة .. فألصق إصبعه السبابة بأذنه اليمنى وضغط بالهاتف على اليسرى ليأتيه الصوت بشكل أقوى : « أحمد .. أحمد! »

أنا مش أحمد يا دينا .. أنا هشام !

إتش .. أحمد معاك ؟ .. عايزاه ضرورى .. وإيه الدوشة دى ؟
 نقل (هشام) الهاتف من الأذن اليسرى لليمنى واستأنف : «
 دوشة ! .. أحمد يلعب الماتش يا دينا .. انتِ مبتفرجيش عليه ؟ »
 آه الماتش ! ..
 يا نفوحتى أنا نسيت !
 الماتش حينخلص إمتى ؟
 س..

قاطعه مُستعير الزُّجاجة بقذفها له ، فالتقط (هشام) الزجاجه بيده
 اليسرى ورجها ليستبين كم بقى منها واكتشف أنه لم يبق إلا ما
 يكفى لشربة أو اثنتين على الأكثر .. تذكر سعرها المبالغ فيه باستياء
 وأكمل : « ساعة ونص ، وساعة كمان عشان أوصل لأحمد . »

هشام .. بلغه إني .. ولا خليها مفاجأة ، حكلمك بعدين ..
 باى.

دي..

(جوووول) !

ازداد صياح الجماهير بعد إحراز الهدف الأول بأقدام (عفروتو)

في الدقيقة الـ31 من عمر الشوط الأول لصالح المنتخب الوطني ،
مما جعل هشام يُسقط الهاتف من التدافع ، وانخفض بجسده يلتقطه
وسط الأقدام، ولحسن حظه أصبح بين كفيه قبل أن تدهسه الأحذية.

(3)

يسقط للأسفل .. قدماه لا تتحركان ! عيناه مُثبتتان على مصدر الضوء ، يده مفرودتان على جانبيه .. إلى متى وأين ؟ .. "لا إجابة" هذا المكان إذا أطلقت عليه لقب (مكان) لا ينتمى لقوانين العالم .. لا وجود لقوانين الرياضيات هنا من الأساس لقياس أبعاده !

صاح (هشام) : « دكتور ! »

بالطبيب الخارج من غرفة الإنعاش .. ذلك النحيل ، مُمتلئ الوجه، ذو الحاجبين الكثيفين والشعر الأسود الكثيف .. فالتفت إليه الأخير فأكمل (هشام) :

طمنى يا دكتور ؟

بهدوء أخرج الطبيب من الجيب الأيسر لبنطاله ساعته الـ(روليكس) ونظر لعقاربها السوداء (التاسعة والنصف) ولف معصمه الأيسر بمعدنها الفضى ..

« تعالى نتكلم برا أحسن . »

والتفت الطبيب قبل أن يسمع رد (هشام) واتجه صوب باب الخروج من المستشفى .

كانت المُستشفى صغيرة .. ولكنها الأقرب من ستاد (برج

العرب)، ولم يُحاول (هشام) أن يلتقط اسم المستشفى ويحفظه بداخل عقله.. فى الحقيقة لم تكن ذاكرته من النوع الذى يحتفظ بكل ما مر عليه.. ربما نسبة استغلال (هشام) لها لا تتعدى الـ ١٥% .

خرجا من باب المستشفى الخلفى الهادئ وصفع الهواء الرطب وجهيهما بقوة فاستنشقه الطبيب بهدوء بينما تنفجر خلايا عقل (هشام) من بروده .

خلع الطبيب معطفه الأبيض وصنع من يده اليسرى شماعة ليعلقه عليها .. ودس يده اليمنى بجيبه الأيمن وأخرج ولاعة (دى جيب) وعلبة سجائر (ميرت أصفر) وأخرج أحد مُحتوياتها وناولها لهشام الذى هز رأسه بالرفض ..

مبتدخنش ؟

نظر له (هشام) بعصبية .

خير ما فعلت .

قالها الدكتور والتقط السيجارة بشفتيه وفرك العجلة المعدنية للولاة لتولد النار بعدما صنع حاجزاً من الأصابع حول الولاة ليمنع الهواء من إطفاء النار المشتعلة .

ممكن أعرف (أحمد) ماله يا دكتور ؟

أخرج الطبيب من فمه دفعة كبيرة من الدخان مرة واحدة وكأنه

التهم جمرة وقال وعيناه مُثبتتان على السماء المكسوة بالنجوم :

« معرفش ! »

انت بتهزر ؟

تشاءب الطبيب وحاول صناعة سد أمام فمه بيده اليسرى وأجاب

ببرود : « أنا فعلاً معرفش ! .. لكن على الأرجح إن اللي عنده

تشخيصه نفسى أكثر منه عضوى ، فهتمت حاجة ؟ »

هز (هشام) رأسه بالنفى فأكمل الطبيب : « ولا أنا ! »

امتص بعض الدخان من سيجارته واستأنف حديثه : « هو

بيشكى من مرض وراثى مشابه لحالته زى الشيخوخة المبكرة مثلاً؟ »

أجاب (هشام) بلا تفكير : « لا ! »

هو متحوز ؟

ارتفع حاجبا (هشام) وظن للحظة أن شخصاً آخر بداخل غرفة

الإنعاش !

لا مش متحوز .. أحمد ١٨ سنة !

معاك بطاقته أو أى إثبات شخصية ؟

أوماً (هشام) برأسه وأخرج من جيبيه محفظة (أحمد) الـ(ليفيس)

السوداء ، وأخرج منها بطاقته وناولها للدكتور الذى بدوره ظل مُثَبِّتاً عينيه عليها لفترة ، التقط نفساً طويلاً من السيجارة التى دُهِست بعدها بكعب الحذاء وأخرج الدخان دفعة واحدة وهو يحك مؤخرة رأسه : « مواليد ١٩٩١ . »

أوماً (هشام) برأسه .

إزاي وشعره أبيض !؟

(4)

* الدقيقة الـ ٤٠ من زمن المباراة *

صَفَرُ الحكم البلجيكي (فرانك دييليكير) عقب عرقلة أحد لاعبي الفريق المنافس لـ (أحمد) بخطأ وركلة حُرّة لصالح المنتخب المصري من خارج خط الـ ١٨ ، التقط (أحمد) أنفاسه ومسح عرق جبينه بالسوار القطني الأبيض ماركة (نايك) الذي يلف معصمه الأيسر .. وحمل الكرة بكلتا يديه ، فيما استعد الفريق المنافس لبناء حائط بشري مُكون من ٤ لاعبين .

وضع الكرة على الأرض بينما الجمهور لا يتوقف عن الصياح .

ضم الرئيس (محمد حسني مبارك) كفيه وشبك أصابعه العشرة فيما ظلت تعابير وجهه ثابتة - جامدة لا تتغير ولا تتأثر بأى شيء تراه .. فك شبكة أصابعه وهرش بسبابته الجانب الأيسر من جبينه وأعاد أصابعه للتشابك مُجدداً فتزاحمت أصابعه العشرة حتى اصطفت فوق بعضها، وتنهد بنعاس فابتلع أحد الحراس ذوي البذل السوداء

القائمة الواقفين خلفه ريقه .. وعيناه تنتقل بين الرئيس والمباراة من خلف نظارته السوداء التي تعطيه منظراً مهيباً بجوار طوله الذى تجاوز ٢٠٠ سم ووزنه الذى تجاوز الـ ٩٠ كيلو جرام .. ورأسه الحليق، كل ذلك جعل منه وحشاً بشرياً بمعنى الكلمة .

تحسب مسدسه من نوع (إتش تى مارك ٢٣) بيده اليمينى ولكن سكون الرئيس فى مكانه هدأ من قلقه قليلاً .

(إتش تى مارك ٢٣) ذلك المسدس المصنوع فى أمريكا وألمانيا سنة ١٩٩١ وتستخدمه القوات الخاصة الأمريكية وطلب الرئيس لطاخم حراسته الشخصية امتلاكه .

علق نظره على المباراة من خلف الزجاج المضاد للرصاص النظيف لدرجة أنك لا تميز وجوده من عدمه الذى يُحيط بمجلس الرئيس ويفصله عن الملعب .

هبطت بومة بيضاء اللون كثلوج لندن فى ديسمبر، بأضعاف حجم البومة العادية، عيناها بلون العسل وقزحيتها سوداء قائمة ، لتثبت مخالبها وتقف على عارضة المرمى فى مواجهة (أحمد) .

صفر الحكم ببدء الركلة الحرة ، وجه (أحمد) تركيزه عن كُتُب ناحية الجانب الأيمن من المرمى استناداً لاحتلال حارس المرمى الجانب الأيسر .. وقف ثلاثة لاعبين من الحائط البشرى فى مواجهة (أحمد) بينما الرابع يقف بجهة عكسية .

شعر أحمد بشيء يتخلل الأرض من تحت قدمه اليسرى ، رفع قدمه ليجد (أفعى) سوداء صغيرة الحجم ، ذات طول متوسط ، رأسها المثلث الشكل تحمل عيين بلون الكوكب الأزرق .. وكأن الأرض خلقت بين جفניה .

تراجع (أحمد) بضع خطوات في دعر .. وطارَت البومة البيضاء لتقف على أكتافه وهمست بصوتها المميز ليخترق الصوت أذنه : « لم يحن وقتك بعد ! »

ثلج !

أطلق (أحمد) ذلك الاسم على تلك البومة التي رافقته منذ طفولته للونها الأبيض الثلجي .. لا أحد يراها غيره منذ أن كان في الخامسة من عمره .

زحفت الأفعى ببطء تجاهه ، تمالك نفسه واستجمع شجاعته وسحب بقدر رئته الهواء ، ودهس رأسها بجذائه الأبيض (نايك) .. تنفس الصعداء وفي أقل من 5 ثوان ظهرت عشرات الأفاعي في جميع أرجاء الملعب ، ثم المئات والآلاف .. تزحف نحوه وكأنه فأر وقع في مزرعة قطط جائعة .

حلق (ثلج) في الهواء ينعق بصوته في غضب .. وراح يلتقط
الأفاعى بمخالبه واحدة تلو الأخرى وينتزع رأسها بمنقاره .. فيما
تُكمل الأفاعى زحفها نحو (أحمد) الذى سقط على الأرض وجسده
يرتجف وعيناه تزدادان اتساعاً ، كلما اقتربت منه إحدى الأفاعى
انقض عليها (ثلج) بمخالبه .

تجمع الفريق حول (أحمد) في تعجب واضح ، واقترب منه الحكم
البلجيكي وتمتم بكلمات إنجليزية لم يفهمها .

« هلال .. انت كويس ؟ »

قالها (حجازى) ، ولكنه لم يسمعه وربما لم يهتم لذلك الصوت
.. ثوان من الذعر مرت عليه ، وفقد اتصاله بكل ما حوله .. و(ثلج)
ينعق بذعره الحيوانى وهو يطير حوله بسرعة جنونية .

التفت الرئيس لحارسه الذى كان بالفعل أخرج مسدسه في ذعر
وكان سقوط (أحمد) هو عمل إرهابى مُدبر ، وابتسم نصف ابتسامة
وأردف : « العالم كله يشوفنا يا (شريف) .. أنت عارف ده معناه
إيه ؟ »

رد (شريف) بشيء من التوتر والخشوع وعيناه لازمتا الأرض من
خلف النظارة السوداء : « حالاً الواد ده حيطلع برا الملعب يا سيادة

الرئيس . «

مش بس يطلع ..

شبك الرئيس أصابعه والتفت ناحية الملعب وأكمل : « اللي يرفع
سلاحه بدون مبرر يحصله . »

obeikan.com

(5)

الضوء يسقط في فوهة الظلام رويداً رويداً ، الأصوات تعلو فجأة وتتشابك .. عيناه تحاولان ابتلاع ما تبقى من الضوء بآخر النفق.

صاح (ثلج) بصوته الذى تردد صدها وتخلل تداخل الأصوات :
« مازال لديك بعض الوقت . »

فتح (أحمد) عينيه في ذعر ، الصور تداخلت أمامه لثوان قبل أن تستقر على صورة واضحة للغرفة، تحولت عيناه في الغرفة التي كل ما بها أبيض اللون، رفع يده اليمنى بصعوبة وكأن عظامه تهمت ونزع ذلك الأنبوب المتصل بفمه وأنفه.
و(ثلج) بنهاية السرير يُحرك رأسه الكبير بطريقة دائرية .

فُتح باب العُرفة فدخل (هشام) برفقة الطبيب، تقلص وجهه (هشام) لرؤية صديقه الذى انتشرت التجاعيد بوجهه قمحى اللون وتغير لون شعره الأسود للأبيض الثلجى .. لم تسلم خُصلة واحدة من هذا .. صاح (هشام) وهو يقترب من سريره بتردد واضح وعيناه

مُتسعتان لا ترمشان وجلس على ركبتيه بجوار السرير : « إيه اللي حصلك ؟ »

أنا فين ؟

قالها بحسرة وكأن خنجراً اخترق حنجرتة فأجاب (هشام) :
« فى المستشفى ..أنا عايز أعرف إيه اللي حصلك فى الملعب ؟ »

ثعاين

ثعاين ؟!

فى كل حنة ..

تبادل (هشام) والطبيب النظرات ، رفع الطبيب كفيه ولوى شفتيه وأغمض عينيه بإشارة أنه لا يعلم !

ثبت (أحمد) عينيه على (ثلج) الذى بدأ يُحك جناحيه بمنقاره وأكمل : « ثعاين لوها أسود ! »

قال الطبيب بلهجة هادئة وهو يعبث بقداحته : « طيب لازم ترتاح دلوقتى ، يلا بينا يا هشام . »

نفض (هشام) من جلسته ورافق الطبيب للخارج الذى تمتم بصوت منخفض وهو يحك أنفه : « هلاوس ! »

وأغلقا باب الغرفة على (أحمد) ، بدأ يحرك أطرافه بصعوبة حتى استجابت بالنهاية واستند على طرف المنضدة التي بجوار السرير ولمح ساعته (الكاسيو) السوداء تشير إلى العاشرة والنصف مساءً ، جلس وهو يتنهد بتعب والعرق يغزو مسام جبينه ، وجه نظره للأرض فلمح خصلة بيضاء من شعره الطويل تتدلى أمام عينيه ، أمسك بها بأطراف أصابعه وشدها بقوة حتى أصبحت بعض الشعرات بين يديه .. بيضاء كالثلج - أطول مما كانت عليه سابقاً .. نهض بفزع فيما راقبه (ثلج) بدون كلام وسرعان ما وقف على قدميه ، طار (ثلج) وهبط على كتفه .. ومشى (أحمد) تجاه المرأة المعلقة على حائط الغرفة ووقف بلا حراك وكأن أقدامه ضربت بجذور تخللت الأرض .

فُتح باب الغرفة وظهر (هشام) بيده هاتف (أحمد) الـ (نوكيا) وصاح : « أحمد ، دينا بتتصل بيك . »

لم يُجب وكأن لسانه قد قُطع ، رآه (هشام) أمام المرأة بلا حراك .. فلم ينطق ، وكأن الألسنة في سباق لتقطع .. و(ثلج) ينعق بصوت مُنخفض بلا توقف !

وظل هاتفه النوكيا بيد (هشام) يرن بصوت العزف المنفرد ببداية أغنية (Time) لـ (بينك فلويد)

obeikan.com

(6)

توقف المطر بعد هطوله الذى دام أكثر من ربع ساعة ، أغلقت مظلتها السوداء الصغيرة وبدأت تستنشق الهواء .. دائماً ما تقول إن أفضل وقت لاستنشاق الهواء فى (لندن) هو بعد هطول الأمطار مباشرةً، تأملت القطرات الصغيرة الباقية بجُعبه السماء من (جسر البرج) وهى تصطدم بماء نهر (التايمز) فتصنع فقاعات صغيرة عمرها لا يتعدى الثانية .

أسندت مظلتها على سطح الجسر وتناوبت بكسل فتسلل البرد لجسدها النحيل المتناسق وتطايرت خصلات شعرها الطويل بفعل الرياح، فأحكمت إغلاق معطفها الـ(كليفن كلاين) الأسود لعله يُخفف برد لندن، ورتبت خصلات شعرها البنى الطويل المتطاير وأخرجت هاتفها الـ(سامسونج جلاكسى) وطلبت رقم (وليام) فجاءها الرد بعد ثوان :

دينا ..

أيها الغبى ، إلى متى سأنتظرك ؟
أنا بالفعل آسف ، سأصل خلال دقيقة .

أغلقت المكالمات ونظرت لشاشة الهاتف لتستبين الوقت (الرابعة و ١٠ دقائق) .. ثم تابعت طقوسها في استنشاق الهواء ومتابعة قطرات المطر ، حتى ظهر أمامها يحمل مظلته السوداء الصغيرة بيده اليسرى .. ويرتدى معطفًا جلديًا أسود مُحكم الإغلاق وبنطالاً أسود .

استقلا (تاكسى) إلى مقهى (متحف تيت) الذى يقع ضمن متحف (تيت) على ضفة نهر (التايمز)، وحك العامل بالمقهى رأسه تعجباً من دخول ذلك الشئائى ذوى المعاطف والمظلات السوداء فى حين أن معظم الناس لم تنزل من بيوتها فى يوم مُمطر كهذا !

استقرا على إحدى الطاولات الدائرية وخلع (وليام) معطفه المبلل وعلقه على الكرسي بجواره كاشفاً عن قميص (بولو) أبيض ذي خطوط عرضية باللون البنى، اشترى ذلك القميص خصيصاً لأنها تُحب اللون البنى، ثوان وجاء عامل المقهى فطلبت (دينا) إسبريسو وزاد تعجب عامل المقهى عندما اختار (وليام) صودا باردة (كوكاكولا) فى حين أن الجميع يطلب المشروبات الساخنة فى وقت كهذا؛ لم يكن يعلم عامل المقهى "دائم التعجب" أن (وليام) لا يُحب المشروبات الساخنة، ولم يعلم أنه يكاد لا يشعر بالبرد بجوار ديننا .. لم تُحمد عيناها البُنيتان نار شوقه الذى يتزايد يوماً بعد يوم لها .. وكأنها لم تكن بجواره ، لقد اختار اليوم تحديداً ليصارحها بحقيقة

مشاعره التي أصبحت "لعنة" بلا "لاعن" .

ارتشفت (دينا) بعضاً من الإسبريسو وأخرج (وليام) علبة سجائره الـ(مورلبورو) من جيب المعطف المبلل وأشعل سيجارة بهدوء .

أتسمح لي بواحدة ؟

لم أكن أعلم أنك تدخين ؟

قالها وهو يُخرج سيجارة من علبته ويناولها لـ(دينا) فأكملت :
« حسناً ، إن بعض النيكوتين من وقتٍ لآخر لن يضر كثيراً . »
أشعلتها بهدوء فقفز قلبه ! .. تزيد السيجارة منها جمالاً وجاذبية، كانت هي المرة الأولى التي يراها فيها تُدخن ، وقد قرر في قرارة نفسه أنه لن يستبدل نوع سجائره بنوع آخر ، فربما لن تُدخن (دينا) نوعاً آخر .

وليام ، ماذا كنت تُريد مني ؟

تلثم قليلاً في الإجابة ؛ فقد دعاها بلا سبب ، مجرد اشتياق لوجهها كفيلاً بأن يُدخله في نوبات من السُّهاد لا ترحل ، استجمع شجاعته وتوقفت قدمه عن حركتها الترددية، واعتصر أنفاس سيجارته وقال : « كُنت أريد ان أتحدث معك في عدة أشياء تُزاحم عقلي منذ فترة .. »

مثل ماذا ؟

حسناً .. إن .. عندما .. ذلك ال ..

قاطعته : « وليام ، وليام .. أعلم أنك تجد صعوبة في التعبير عما بداخلك .. إن الأمر بسيط ! »
كيف ذلك ؟
لنلعب لعبة ..

نفضت رماد السيجارة في منفضة السجائر وأكملت : « ستكتب أربعة أسئلة على ٤ أوراق صغيرة .. وسؤال تُريد إجابته بصدق في ورقة خامسة ثم ستخلط الأوراق وسأختار ورقة تلو الأخرى عشوائياً وسأجيب على الأسئلة واحداً تلو الآخر، وأنا لا أعلم أيها السؤال المُهم .. أو ما تريد بالفعل معرفته ، ما رأيك ؟ »
موافق ، ولكن دعيني أختار الأوراق بنفسى، لا داعى للعشوائية .
حسناً لك ذلك .

أخرج (وليام) مُفكرة صغيرة صفراء يكتب بها الملاحظات أحياناً من جيب بنطاله ، ومزق منها خمس أوراق والتقط قلمًا رصاص (إتش بي) أزرق قصير القامة نُحل رأسه ، يستعمله أحياناً في تدوين أفكاره وخواتمه .. وكتب على الخمس أوراق بالترتيب :

• لماذا سافرتِ إلى لندن ؟

- هل فكرت بالعودة لمصر ؟
 - من هو (وليام دويل) بالنسبة لك ؟
 - هل وقعت في فخاخ الحب ؟
 - هل أروق لك ؟
- ووضع تحت السؤال الأخير في الورقة الخامسة خط .

• هل أروق لك ؟

أعطاهما أولى الأوراق فالتقطتها منه وقرأت السؤال بهدوء (لماذا سافرت إلى لندن ؟) .. وأجابت بهدوء : « إنها لقصة طويلة (وليام). »

أشعل (وليام) سيجارة في صمت فأكملت : « انفصل والديّ منذ كنت في العاشرة، وعندما أتممت السابعة عشرة لحقت بوالدتي التي قررت أن تعيش في لندن مع خيالي (على) . »

هذه ليست بقصة طويلة ؟

عندما تمسح التفاصيل تصوير القصة أجمل !

عقد (وليام) حاجبيه وناولها الورقة الثانية : (هل فكرت بالعودة لمصر؟)

في الحقيقة لم أفكر إطلاقاً في العودة ، أنت لست مصرياً يا وليام لتعلم أنني الآن حققت أحد أحلام المصريين .

هل جميع المصريين يفكرون بالسفر خارج البلاد ؟

بالطبع لا ، جميعهم يفكرون بالهجرة .

ضحك وناولها الورقة الثالثة : (من هو وليام دويل بالنسبة لك ؟) :

قطبت حاجبها وانتزعت بعض الأنفاس من السيجارة وأجابت :
« مرت سنة مُنذ لقائنا الأول ، وليام أنت بالفعل صديق كُنت أتمناه يوماً .. لم تستمع أُمى يوماً لى مثلما تستمع أنت ! .. ربما من أسباب صداقتنا عشقك للكتابة وعشقى لشخصية (آرثر هولمز) . »
احمر وجهه خجلاً فأكملت : « قصصك البوليسية رائعة ..

وإحيائك لأسطورة شارلوك هولمز بالطريقة العصرية أذهلتنى . »

كان وليام من أحفاد (آرثر كونان دويل) وقد خلق شخصية (آرثر هولمز) لإحياء أسطورة شارلوك هولمز من خلال سلسلة قصص تُنشر شهرياً ، استعان باسم كاتب سلسلة هولمز الأصلية (آرثر) ليصبح حفيد (شارلوك هولمز) وبطل مغامراته فى مدينة لندن ، رغم مرور ما يقرب من السنة على بدء سلسلة (آرثر هولمز) إلا أن (وليام) لازال يخجل عندما تنهال عليه الإطراءات، وكانت (دينا) تعرف ذلك حق المعرفة، وكانت تُحب حُمره الخجل على وجهه، لذا أكملت : « إنك بالفعل شخص مُميز . »

ناولها الورقة الرابعة : (هل وقعتِ في فخاخ الحب ؟) فأجابت :
«أنت تذكرني بما لا أريد تذكره . »

سأفهم إن لم تُجيبى !

أطفأت شعلة السيجارة بالمنفضة ودهستها ولم تُطفئ شعلة قلبه ولكنها دهسته ، اتكأت على الطاولة وابتسمت : « انتهى ذلك مُنذ خمس سنوات تقريباً .. في نفس السنة التي سافرت فيها للندن ، كان اسمه (أحمد هلال) .. وكنا جيراناً نسكن في نفس الشارع .. لا أذكر كيف اعترف لى بحبه ولكنى أذكر كيف انتهت علاقتنا .. علقى قادر على تذكر النهايات بدقة ! »

أشعلت سيجارة أخرى بدون استئذان وأكملت : « أذكر أن علاقتنا كانت هادئة لا يعكر صفوها إلا أفكاره الغريبة .. كان يحكى لى عن (بومة) تحدثه دائماً وعن ظلال تلاحقه .. كُنا بسن صغيرة لذلك عندما كنت أحكى لأمى ما يقوله لى لم تصدقنى .. أضف إلى معلوماتك أيضاً موت والده المفاجئ ولم يُكمل أحمد حينها سبعة أعوام وتعلقه الشديد به . »

كان يرى هلاوس ؟

لا أعلم تحديداً ولم أهتم .. أذكر تنقله من أحد النوادى الصغيرة بالإسكندرية ثم إلى نادى الاتحاد السكندرى ثم للإسماعيلى .. آه

نسيت أن أذكر لك أنه لاعب كرة قدم .. كانت موهبته سبباً في دخوله مباريات كأس العالم ٢٠٠٩ مع منتخب الناشئين .. أقنعت والدتي قبل السفر أن نصطحب أحمد معنا ووافقت بعد إلحاح مستمر، كان اللعب لنادٍ من نوادي إنجلترا حلمًا من أحلام أحمد ؛ كان يُحب لاعباً إنجليزياً يحمل نفس رقم قميصه (٣٢) .. ولكني لا أذكر اسمه ..

ديفيد بيكهام .. كان يلعب بذلك القميص عندما انتقل إلى (إي سى ميلان) .

نعم إنه هو ، على أية حال اتصلت به لأنقل له ذلك الخبر السعيد ولكنه كان يلعب آنذاك أولى مباريات المنتخب في كأس العالم .. لم أشاهد تلك المباراة ولكن سمعت أنه سقط على الأرض فجأة وظل يصرخ ثم نُقل إلى مستشفى قريبة .. وبعدها تغير كل شيء .

دهست سجارتها التي التقطت أولى أنفاسها فقط في المنفضة ورشفت باقى الإسبريسو دفعة واحدة وأكملت : « لقد تغير تماماً .. يشتعل غضباً من أقل شيء ، أصبح قليل الكلام ، ظهرت التجاعيد بوجهه »

ضحكت بمرارة وأكملت : « تلون شعره بالأبيض ! »

الأبيض ! .. كيف ذلك ؟

لا أعلم .. بعد سقوطه في الملعب ونقله للمستشفى صار شعره

كيباض الثلج .. لم أصدق حدوث ذلك في البداية وكُنْتُ أظنه يصبغه بالأبيض كأحد صيحات (ديفيد بيكهام) ، ولكن تأكدت أنه حقيقى مع مرور الوقت .

حك (وليام) رأسه في تعجب والتقط بعض الأنفاس من سيجارته ورشفتين من الصودا وأشار لها أن تُكمل : « لم يوافق على السفر .. أو بالمعنى الأدق لم يوافق على لعب الكرة مرة أخرى .. صار متوحشاً .. مُنذ بضعة أيام أمسك بقطعة من الخشب وضرب بها كلباً كان ينبح طوال الليل في وسط الشارع حتى مات الكلب ! هذا آخر ما وصلنى منه عن طريق صديق له مازالت صلتى به جيدة »

أصار بتلك الوحشية ؟

ربما أكثر من ذلك ، سافرت بدون أن أودعه وقررت ألا أعود للأبد .. وهذه هى إجابة سؤالك الرابع .. أين السؤال الخامس ؟

أمسك بالورقة الخامسة بين أصابعه وقرأ ما فيها بعينه (هل أروق لك؟) ثم ثاها ووضعها في جيب بنطاله .. وقال لـ (دينا) مُبتسماً :

حسناً .. لا داعي للسؤال الخامس .

مرت ساعة تحدثا فيها عن (آرثر هولمز) والقصة الأخيرة التي لم تُعجب (دينا) بقدر سابقاتها، وعن أفكار (وليام) في قصته القادمة ومتى سيخرج من عباءة (هولمز) .. ثم غادرا المقهى .. وقررا أن يتمشيا قليلاً في شوارع لندن، أخرج (وليام) الورقة المطوية من جيب بنطاله وألقى بها في صندوق للنفايات في طريقهم ، وفي أثناء سيرهم هطل المطر متدرجاً في الشدة فرفعا المظلات السوداء في وجه السماء وتابعت (دينا) القطرات الصغيرة وهي تسقط وتصطدم ببرك مياه صنعتها الأمطار على أسفلت الطريق صانعة فقاعات لا يزيد عمرها عن ثوان وقالت لـ(وليام) : « هذه القطرات كان ينبغي لها السقوط في نهر التايمز ولكنها ضلت طريقها وسقطت على الأسفلت! »

لم يفهم ما قالت فعقد حاجبيه وتابع سقوط المطر في صمت .

(7)

فتحت صندوق التزيين الخاص بها أمام المرأة وتأملت وجهها الذى سرقت شمس الصيف بياضه وبدأت شهور الشتاء الأولى ترد له لونه تدريجياً .. فتحت عينيها الناعستين اللتين تحملان حدقتين بلون الفضاء الداكن على مصراعيهما ، ثم ابتسمت فظهرت نغازتها اليتيمة على خدها الأيمن التى ورثتها من أمها المتوفية .. نظرت لصندوق التزيين (الميكياج) الممتلئ بالأدوات، فالتقطت (أحمر الشفاه الكريمي) باللون الوردي وظلت شفثيها الحماوين الداكنتين باللون السوردي الفاتح فذاب على شفثيها اللون .. ثم حددت عينيها وفكرت بإضافة بعض مساحيق التجميل ولكنها تراجع عن الفكرة ، لفت شعرها الأسود الطويل فى حلقة وربطته بأحد رباطات الشعر الزرقاء ، ارتدت البلوزة الزرقاء التى لا تعرف ماركتها والبنطال الجيز الأسود ومن فوق البلوزة معطفاً أسود قصيراً وحذاء رياضياً أسود .. المظهر الرجالى الذى تعشقه رغم أنوثتها .. التقطت هاتفها الـ(سامسونج) وكتبت رقم صديقتها (دعاء) الذى تحفظه بدون الحاجة لإخراجه من قائمة الأسماء ..

(لو عايز الرنة دى دوس على علامة النجمة)
 قالتها تلك المرأة المجهولة عبر الهاتف واخترق صوت (عمرو
 دياب) أذنيها : « سبت فراغ كبير .. عندى والله حبيى ، حبيى ..
 وانت هناك بعيد ، مش بعيد عنى حبيى »
 ضحكت وتمتت : « يبقى علاء سابها تانى ! »
 وأجابت (دعاء) بالنهاية : « ايوا يا (سُهاد) .. »
 (سُهاد) : ذلك الاسم الذى طالما كرهته حاملته وتكره أن يناديها
 أحدُ به ..

- (علاء) سابك صح ؟
- انتِ عرفتي منين ؟
- ماعلينا .. لما أشوفك .. إنتِ جهزتي ؟
- لا أنا مش حعرف أنزل !
- نعم ! .. وبتقوليلي بعد ما أنا جهزت ؟
- معلىش بقى خليها يوم تانى ..

أغلقت (سُهاد) المكالمة بعد طقوس السلام المعتادة .. وجلست
 على الأريكة .. نظرت لساعة الحائط الدائرية تُشير عقاربها للسادسة
 والنصف مساءً .. تنهدت بملل ومدت أصابعها لتفك عُقدة شعرها
 ولكنها تراجعَت عن الفكرة، التقطت حقيبتها النسائية الصغيرة

الزرقاء ماركة (شانيل) المزيقة .. وتحولت بشقتها ذات العُرفتين
تُطفئ مصابيح الإضاءة الواحد تلو الآخر وخرجت من باب الشقة
وأغلقتها .. بحثت عن المفتاح في حقيبتها لتُحکم إغلاق الباب ولكنها
لم تجده !

ضربت كفها برأسها ولم تصفع وجهها خوفاً على (الميكياج)
الخفيف .. أخرجت هاتفها واتصلت بأختها التي كانت في دوام
العمل في مكتب المحامي (رأفت الخولي) .. ثوان وجاءها الرد :
« ألو ! »

مریم .. أنا خرجت ونسيت المفتاح في البيت !
شاطرة ! .. استنى بقى لحد ما أجى من الشغل .
نظرت لساعة هاتفها أثناء المكالمة وأكملت بسرعة :
حتيجي الساعة كام ؟

10 ونص بالكثير .

جلست على أحد الكراسي بمقهى (البن البرازيلي) ذلك المقهى
ذي الديكور الخشبي وملصقات لاعبي البرازيل لكرة القدم ، موسيقى
فرقة (البيتلز) تغزو أرجاء المقهى والعبارات المتناغمة ذات خط الرقعة
مُعلقة على جوانب المقهى ..

جاء النادل وألقى على الطاولة المُستديرة قائمة بالمشروبات
ولكنها لم تلتقطها بل طلبت من النادل الأصيل الذي يرتدى قميص

(نيمار) الأصفر فى منتخب البرازيل (الاسبريسو) فالتقط النادل
(قائمة المشروبات) وانصرف بهدوء .

جلست أمام شاشة هاتفها وسماعات الأذن تثقب فتحتي أذنيها
وموسيقى (محمد منير) تخترق روحها بهدوء ..

"إيديا فى جيوبى وقلبي طرب .. سارح فى غربة ، بس مش مغترب "
تحوّلت عيناها بين طاولات المقهى .. ذلك الفتى فى الركن الأيمن
يتابع المباراة على شاشة المقهى بين فريقين قرأت اسميهما المختصرين
(MCU) و (ARS) ولم تعرفهما ! ، وتلك الفتاة هناك التى
تحمل سيجارة بين إصبعيها تلتفت لسلم المقهى كثيراً تنتظر أحدهم
على الأغلب ، وهؤلاء الاثنان الجالسان على طرفي الطاولة لم يتكلما
مُنذ ٥ دقائق ، وذلك الغريب ذو القبعة الشتوية المستديرة (آيس
كاب) يحتسى قهوته ويدخن بهدوء .. ينظر لشباك المقهى مُنذ فترة !

تابعته (سُهاد) للحظات حتى لاحظت خصلات بيضاء ناعمة
تتخلل قبعته .. صُغت للحظات عندما تأكدت من لون شعره
الثلجى ، التجاعيد تتخلل وجهه مثلماً تتخلل أغنية (إيديا فى جيوبى)
أذنيها ..

" وحدى لكن ونسان وماشى كدة ، بابتعد ! .. معرفش أو باقترب "
ثوان ووقف ذو الشعر الأبيض وفتح الصندوق الخشبي الصغير

على الطاولة ووضع به حساب القهوة وانصرف ببدوء .. ظلت
(سُهاد) تتابعه ببدوء حتى اختفى عن مرمى بصرها ..

أنهت فنجان الإسبريسو سريعاً وتركت ثمنه فوق الصندوق
وخرجت من المقهى .. كانت تشعر بالملل مما جعلها تجلس على
سور الكورنيش، فكرت بشراء بعض الروايات الجديدة ولكنها
تراجعت عن الفكرة بمجرد أن تذكرت عدد الروايات التي تستقر في
غرفتها ولم تقرأها بعد ، تراقب الأمواج التي تُلقى بنفسها على
الشاطئ ، تراقب الباعة المُتجولين والعشاق المتراصين على الكورنيش
مرت ساعتين على هذا النحو .. ولم تشعر بالملل ! وكأن هواء البحر
يتمص مللها سريع الاشتعال .. موسيقى (محمد منير) لم تنقطع ولو
لثانية .. نظرت لساعة يدها الـ (آيس ووتش) السوداء تشير إلى
التاسعة والنصف مساءً ..

قفزت على الأرض وقررت أن تتمشى قليلاً بلا غاية أو هدف ..
وتجولت بين شوارع محطة الرمل مروراً على شوارع المنشية وعبرت
لشارع ضيق لم تعلم اسمه ولكنها توقفت عند بدايته لرؤيتها (ذا
الشعر الأبيض) يقف بين ثلاثة أشخاص يبدو عليهم الغضب .. اثنان
منهم يُمسكان بعصا قصيرة والثالث بيده سكين .. توارت على أول
الشارع لتراقب ما يحدث بعيون قلقة وعقلها لا يستوعب ما يحدث ..
أمسك صاحب السكين بياقة تشيرت (ذي الشعر الأبيض) وصرخ

به : « بقى أنت يابن الـ(.....) تقتل الكلب .. ده أنا حطلع (...)»
أملك ! »

ونزع من على رأسه (الآيس كاب) فظهر شعره الأبيض الثلجى الطويل نسبياً، ضحك ذوو العُصيان بُحث .. وصاح أحدهم وهو
يجذبه من شعره :« صبغاه أبيض يا بيضة ! »

وألقي به على الأرض واهالت الضربات بالعصى على جسده بدون صراخ .. وكأن الألم تَخلى عن جسده .. انهار من الضرب ولم
يستطع أن يفتح عينه .. فجذبه الفتى ذو السكين من شعره وجعله
يجلس على الأرض وظهره للجدار وقارب السكين من وجهه ..
دي عشان تفكر الكلب بيها ..

رن هاتف (سُهاد) بموسيقى أغنية (يونس) فقفز قلبها وارتجفت
بخوف، بحثت عن هاتفها بسرعة فى حقيبتها قبل أن يسمعه هؤلاء
الفتيان الذين بالفعل سمعوه ولكنهم ركضوا مُبتعدين عن الشارع
خوفاً من أن يراهم أحد ، أخرجت (سُهاد) هاتفها لتجد اسم (مريم)
يُضيئ الشاشة أطفأتها وسمعت خطوات الفتيان تبتعد عن الشارع ..
تنهدت باطمئنان وركضت نحو (ذي الشعر الأبيض) تطمئن عليه ..

(8)

نعيق (ثلج) الإيقاعى المرتب يعبث بأسلاك عقله ، يقطعها واحداً
تلو الآخر ولا يقترب من السلك الأحمر حتى لا ينفجر !
كل شيء يتداخل فى رأسه ، تزيد الأصوات المتداخلة .. تزيد
الهمهمات .. نعيق (ثلج) لا يتوقف إلا ليحك جناحه بمنقاره .
فتح (أحمد) عينيه ببطء وبدأت بجولة فى الغرفة ، منضدة صغيرة
عليها ما يزيد عن مائة كتاب ، طاولة عليها تلفزيون (توشيا) قديم
يستقر (ثلج) فوقه، نافذة مطلية بالأزرق السماوى تتسلل منها خيوط
الضوء تُغطى السرير الذى يمكث عليه (أحمد) ، بهدوء بدأ الأخير
بتحريك أصابعه ثم كفه وإمّاك جسده جعله يتوقف ، يتوقف (ثلج)
عن النعيق ويسأله بصوته الناعقولغته الغريبة : " من أنت ؟ "
يجيبه بلا تفكير : " لا شيء ! "

يشعر (أحمد) بالحرارة تملأ جسده بالكامل إلا رأسه .. رأسه بارد
كلون شعره ! نبضات قلبه تتسابق لثوان ثم تهدأ مُجدداً ، يُفتح باب
الغرفة بهدوء وتدلف منه فتاة فى العشرين ، ذات شعر أسود طويل
وعينين سوداوين وملامح هادئة ولكنها جميلة ، ترتدى بيجامة نسائية
بنفسجية اللون منشور عليها أزهار بيضاء .. تبتسم لأحمد الذى بدوره

ظل كصخرة ثابتة يُحدق بها ، توقف (ثلج) عن النعيق فيما تقدمت الفتاة ناحية (أحمد) بخطوات مُتراجعة حذرة حتى صارت قبالتها، سألته بصوتها الهادئ : « بقيت كويس دلوقتي ؟ »

يومئ برأسه بلا إجابة فبتبسم ، ثم تنحن نحوه نصف انحناءة لتسحب الجاذبية شعرها الأسود الطويل ليُعطى صدرها المُمتلئ ، وتستبدل قماشة مُبللة بكفها الدافئ : « حرارتك نزلت الحمد لله » أدرك حينها أن القماشة المُبتلة كانت السبب في برودة رأسه ثم أكملت حديثها بابتسامة أظهرت غمازتها اليتيمة على خدها الأيمن : « حمدلله ع السلامة . »

أوماً برأسه مع ابتسامة .

« حروح أحضرلك أكل فطار »

قالتها وغادرت الغرفة وأغلقت الباب خلفها .. حينها اتكأ (أحمد) على كفيه ونجح بالنهوض من على السرير .. يسأله (ثلج) بصوته الناعقولغته الغريبة : « من أنت ؟ » يجيبه بلا تفكير : « لست أنا ! »

اتكأ على المنضدة وتحامل على جسده حتى وصل للنافذة ، طار (ثلج) واستقر على كتفيه ، ليس لـ(ثلج) وزن ! خُلق بلا وزن فلا يُشكل عبأ عليه ، نظر إلى المارة في الشوارع وتمتم (ثلج) في أذنه : «الموت لا يختار إلا من جف قلمه .. لذلك لم يخترك بعد »

ينعق ثم يُكمل :

« لا يزال لديك بعض الوقت .. ولكن لم يبقَ الكثير »
 تنهد (أحمد) وفتح الباب مُجدداً فاستدار بشكل تلقائي فألمته
 رقبتة ليجد تلك الفتاة تحمل صينية بها طعام لم يستبينه من موقعه ..
 قالت له بصوت مدعور : « انت لسه ماخفتش .. ارتاح مينفعش
 تقوم من السرير دلوقتي ! »
 أنا فين ؟

تعالي وانت بتاكل حتتكلم ..

أثناء تناول الطعام حكّت له (سهاد) ما حدث بأدق التفاصيل ..
 لا تُحب إهمال التفاصيل ومع ذلك لم يكن حكيها مُملاً .. وعندما
 فرغا من الحديث والطعام ناولته هاتفه وقالت : « في واحد اسمه
 هشام اتصل بيك ، واديته العنوان على هنا ، زمانه في السكة »
 شكراً .

مفيش حاجة تستاهل الشكر ، انت لو مكاني أكيد كنت عملت
 كدة بردو ، مش كدة ؟

....

آه صح نسيت أعرفك بنفسى ..

ترددت قليلاً قبل أن تمد يدها بالسلام ثم مدت يدها ..

أنا سُهاد .

مد يده وسلم عليها وقال : « يعنى ايه ؟ »
بُصَّ سُهاد ده اسمى .. ومعناه القلق والقريفة .. عارف لما تبقى
قلقان ؟ ، ده اسمه سهاد ، وعشان كدة باكره السؤال ده على فكرة.
لم يُعلق على اسمها وقال : « أحمد ، أحمد هلال ! »

ظهرت على الباب فتاة طويلة فى مُنتصف العشرينات تُغطى
شعرها بحجاب تُحكم إغلاقه عند الرقبة بيدها اليسرى ونادت على
(سُهاد) ، فانتبهت الأخيرة أن يدها لا تزال تتشابك بيد (أحمد)
فسحبتهما بهدوء وقالت : « معلى ! »
أوماً (أحمد) برأسه وانصرفت (سُهاد) بهدوء من الغرفة تتبع تلك
الفتاة المُحجبة .

(9)

أخرج زجاجة من (بينا كولادا) وتمدد على أريكتيه الجلدية الناعمة، قام بتشغيل قائمة طويلة بموسيقى (بوني إم) التي اعتاد على سماعها منذ الصغر، كانت بالنسبة له خلفية موسيقية تخلق الإلهام وظل يحتسى الشراب حتى فرغ تماماً، فكر بإخراج زجاجة جديدة ولكنه تراجع عن ذلك .. فيما استبدل الـ (بوني إم) أغنية (Ride Your Pony) بأغنية (Sunny) .. تأمل قليلاً في صورة (آرثر كونان دويل) التي يحتفظ بها على حائط غرفته وفكر ببدء مغامرة جديدة من سلسلة (آرثر هولمز) .

" لنجعل تلك المغامرة مختلفة ، ولكن كيف ؟ "

ظل يحدث نفسه مُحدقاً بالصورة على الحائط ، استترف خلال تفكيره سيجارتين (مورلبورو) وزجائتين من الـ (بينا كولادا) .
 " لنجعل المُجرم هذه المرة خفيف الظل ، يحب الجميع .. بارع في صناعة النكات ، لنقتبس شخصيته من (جيم كارى) .. أجل ربما (جيم كارى) في فيلم (the cable guy) ودافعه للقتل سيكون

من أجل المال .. أمم ، ربما المال دافع قديم .. لتحدث عن دافع آخر .. من أجل فتاة ! ، قاتل من أجل فتاة ولنجعلها جميلة بالقدر الكافي .. أمم ، ربما مثل (كريستين ستوارت) ماذا عن المقتول ؟! .. ربما كان زوجها ، قصة قديمة يُمكن حياكتها بأسلوب بوليسى عصرى .. ماذا عن شخصيته ؟ ، ربما ستكون شخصيته مثل (أميتاب باتشان) . "

" جيم كارى يقتل أميتاب باتشان لينال حب كريستين ستوارت ! يالها من دراما .. ماذا عن المحقق الذى سيتعثر فى حل ذلك اللغز ؟ .. شخصيته ستكون مُتكبرة ومغرورة إلى حدٍ ما من مظهرها، ولكن عندما تقتحمها ستكون رائعة وبسيطة ، لا يتسم بالغباء ويعترف بخطئه ، من أفضل من (ليوناردو دي كابريو) ليقوم بهذا الدور ؟ " بعد أن جمع شخصيات قصته الأساسية بدأ يُفكر فى الحبكة الدرامية .. هانت هذه هى المشكلة فى كل مرة .. إلى أن وصل أخيراً لحبكة بدائية ستتغير مع الوقت ، يرسم الكاتب آلاف السيناريوهات قبل أن يبدأ بتنفيذها على الأوراق .. وفى أغلب الأحيان يتخلى عن كل السيناريوهات التى قام بتخيلها عندما يُمسك بالقلم ، لبدأ السيناريو النهائى ..

"سيكون المقتول أستاذاً جامعياً (أميتاب باتشان) تزوج من فتاة فى مُقبل العمر (كريستين ستوارت) بعد موت زوجته .. وافقت الفتاة

فقط لظروفها المادية وغرق أبيها في الديون ، ولكنها في الأساس كانت تحب فتى في مثل عمرها ، الصراع الدائم بين المال والحب ، ذلك الفتى سيكون (جيم كارى) يدرس في نفس الجامعة التي يُدرّس فيها ذلك الأستاذ .. تنقطع علاقتها به لسنة ولكنها لم تنسه أو ينسها يوماً ، وفي ظهر يوم دراسى سيكون مُلقىً على أرضية مكتبه مقتولاً بطعنتين في قلبه .. يُستدعى المحقق (ليوناردو دي كابريو) ويبدأ البحث عن الأدلة التي مُحيت تماماً .. وسلاح الجريمة الذى اختفى ، ويكتشف أن كل الخيوط بعيدة عنه، فيستدعى (آرثر هولمز) ليتولى التحقيق ."

"حبكة عادية ولكن مع الأحداث ورسم الشخصيات ستكون مثيرة"

يعترف (وليام) بحقيقة أن حبكة القمص البوليسية من غير قاتل ستكون مثل فيلم قديم بال يعرف المشاهد نهايته من أولى المشاهد .. (أستاذ جامعى يتزوج من فتاة كان يحبها فتى قبله) مع إضافة عنصر القتل والأدلة والعديد من المتهمين تشكل القصة البوليسية .

يُمسك (وليام) بقلمه الأسود وينثر الأوراق أمامه وتبدأ فرقة البونى إم بعزف (Baby Do You Wanna Bump) ويبدأ معها بالكتابة .

obeikan.com

(10)

رافق (هشام) (أحمد) إلى منزله بعد أن غادرا شقة (سُهاد) واشتريا أثناء الطريق بعض اللوازم المنزلية من الطعام والشراب وعلب السجائر وأكياس البُن والشاي .. وبعد أن اطمأن (هشام) على حالته، تركه ليلحق بدوام عمله الذى يبدأ فى تمام الرابعة عصراً ..

يعمل (هشام) " كاشير " فى أحد فروع أسواق (فتح الله) بينما (أحمد) لا يحتاج لعمل تقريباً ، فقد ترك له والده قبل أن يرحل شقتين فى أحد الأحياء الجديدة بالإسكندرية .. كانا يعودان عليه بمبلغ مائى (إيجار) يكفيه كل شهر ويفيض أحياناً .. كما أن والدته قبل أن ترحل منذ 3 أعوام إثر أزمة قلبية تركت له وديعة بالبنك بمبلغ قدره مائة ألف جنيه ، كان يستقبل فوائدها كل شهر .. ومع ذلك كان بين الحين والآخر يلتحق بإحدى المهن البسيطة الهادئة ليقنتل حدة الفراغ والوحدة التى يعيش فيها .

كان منبوءاً إلى حدٍ ما .. ربما بسبب تجاعيد وجهه وشعره الثلجى، مما جعله غير قادر على تكوين صداقات أيام الكلية ولا بعدها،

وساهم شكله في جعله عُرضة للاستهزاء من بنى قوم (السخافة) ..
ساهمت الحادثة والاستهزاء بتشكيل شخصية عدوانية ، استطاع بناء
جدار حول نفسه لم يفتح له أحد ، تقلب مزاجه من وقتها ولم يعد
كما كان .

لم يحك لأحد عن تلك الحادثة التي قلبت حياته رأساً على عقب ..
بالطبع عدا (هشام) الذى ظل كظِّلٍ له مُنذ الطفولة وإلى اليوم .
تمدد على سريره مُحدقاً بالسقف ثم نقل ناظريه إلى المُجسم
الصغير للبومة الثلجية المصنوع من الخشب ومطلى باللون الأبيض ،
الذى تركه والده قبل أن يرحل وهو فى عُمر السابعة ..

كان ذلك المُجسم هو الولادة الحقيقة لـ (ثلج) الذى ظل يرفرف
بجناحيه من وقت لآخر وهو يحوم فى زوايا الغرفة أمام (أحمد).

كان والده من هواة جمع التحف ولكنه تخلص منها جميعاً قبل وفاته
بعامين لسبب لم يعرفه أحد وأبقى على مُجسم البومة الثلجية !
حاولت والدته قبل وفاتها التخلص من ذلك المُجسم عدة مرات
لاعتقادها أن البومة هى نذير شؤم ! .. ولكنها ببساطة كانت تنسى
فور أن تقرر ذلك !

أشعل (أحمد) سيجارة (إل أم أزرق) بينما هو مُمدد على السرير ودخانها يطير بهدوء إلى السقف مُتحدياً الجاذبية ، رقبتة مازالت تؤلمه إلى حدٍ ما، مما جعله يكتفى بتفحص سقف الغرفة .. ظل على هذا الوضع حتى الرابعة عصراً، مل جسده هذه الوضعية ولكنه كان يُجبره على البقاء .. ألقى بالسيجارة على أرضية الغرفة الخالية من السجاد .. وغط في نوم عميق من المحتمل أن يمتد لساعات طويلة .

obeikan.com

(11)

لم تكن كتابة القصة صعبة على (وليام دويل) ، كانت الصعوبة الحقيقية بالنسبة له هي الكتابة على لوحة المفاتيح بحاسبه المحمول (اللاب توب) ، كان يكره الكتابة على تلك الآلة، كان يُفضل أقلام (باركر) السوداء .. والأوراق المبعثرة أمامه على المكتب .. عندما يكتب عبارة (THE END) فى نهاية القصة كان يتبعها بتهيئة تُخرج إرهاب العمل ويتجدد نشاط جسده بالكامل ، لم تكن الكتابة عبئاً عليه على أى حال .

كان يتأثر بالقصة وبأبطالها .. يحتاجه الحماس أثناء الكتابة، يخفق قلبه مع اقتراب النهاية وتدفق الأحداث، وأحياناً كان يصرخ كالأطفال أو يشد شعره كالجانين .

استغرقت منه القصة بأكملها يوماً كاملاً 24 ساعة متواصلة من الرابعة عصراً وحتى الرابعة عصر اليوم التالى ، بالكاد توقف عدة مرات ليتناول طعاماً خفيفاً أو يشرب الماء أو يريح عينيه وأصابع يده اليمنى التى بدأت علامات الانتفاخ تظهر عليها .. امتلأت الغرفة بدخان الـ (مارلبورو) خلال الأربع وعشرين ساعة .

توقف عند السؤال الذى طالما وقف عنده كلما انتهى من كتابة

قصة جديدة لآرثر هولمز « ما هو اسم القصة ؟ »

ذلك السؤال ربما هو السؤال الأصعب لأي كاتب !

راجع أحداث الرواية مرة تلو الأخرى يبحث عن جُملة مُميّزة تصلح لتكون عنواناً، أو الرابط بين الأحداث .. لم يجد بالنهاية ما يصلح ليكون عنوان !

فكر في (دينا) ، في طريقة تدخينها لسجائره وأحمر الشفاه الذي ترك أثراً على فلتر السيجارة وفنجان الإسبريسو .. في عينيها اللتين ترحلان به بعيداً كلما أطال النظر !

بحث عن هاتفه وسط كومة الأوراق المبعثرة في أرجاء العُرفة حتى عثر عليه، كانت بطاريته قد رفعت الرايات البيضاء أمام الأربع وعشرين ساعة المنقضية وفرغت تماماً .. فأوصله بالشاحن وترك الهاتف يلتهم الكهرباء من خلال سلك الشاحن، وصدق بشاشته السوداء حتى ظهرت على شاشته العلامة التجارية الخاصة بشركة (أبل) " تفاحة مقضومة من الجانب الأيمن " .. تذكر أنه قرأ مقالاً يتحدث عن ذلك الشعار وأن المقصود بها فقط هو إظهار الفرق بين التفاحة والكرز، وتذكر مقالاً آخر ذكر فيه أن ستيف جوبز قال : «جمال كل شيء ليس في الاكتمال، كذلك هي الحياة لو أنها اكتملت لنا لما شعرنا بأي انجذاب لها » وربط الصحفيين ذلك القول بشعار الشركة.

ثوان وفتح الهاتف وبحث عن رقم (دينا) وقام بالاتصال بها وألصق الهاتف بأذنه اليمنى ، عندما أرسلت سماعات هاتفه الـ (آيفون إس 5) أولى الرنات التى تعلن استقبال الطرف الآخر إخطاراً بالمكالمة ضربت صاعقة الخجل جسده !

تردد قليلاً قبل أن يضغط زر إنهاء المكالمة قبل أن تبدأ فعلياً ! ..
أمسك الهاتف بين أصابعه وبدأ برسم محادثة خيالية بينهما ..
أن تكون كاتباً يعنى أن ترسم سيناريوهات لكل شيء ، ولكن عند التنفيذ " إمساك القلم " تنسى كل شيء !
وجد هاتفه يُضئ برقمها واسمها .. اهتز قليلاً وراجع سيناريو المحادثة بعقله قبل أن يضغط زر استقبال المكالمة : «وليام ، مرحباً»

لم يُجب .. ربما أراد الاستماع لصوتها أكثر من ذلك ..

« وليام .. أين ذهبت ؟ »

تلعثم قليلاً وأجاب : « دينا ! »

ضحكت وأكملت : « كُنت تتصل بى قبل دقيقة .. »

أجل .. أعلم ذلك !

حسناً .. ماذا كُنت تريد ؟

فى الحقيقة كُنت أريد استشارتك فى شىء .
ما هو ؟

قص عليها القصة التى كتبها باختصار وطلب منها اقتراح بعض
الأسماء للقصة .. فكرت قليلاً ثم أجابت : « أممم .. فى الحقيقة
اختيار الأسماء ليس من مهارتى .. القصة تحتوى على جانب من
المشاعر ، وجانب من القتل الوحشى !

أعتقد أن هذا يُعقد الموقف !

(12)

فتح أحمد عيناه ببطء .. وكأن الزمن توقف لشوان حتى يستفيق !
 نعيق (ثلج) يملأ الغرفة .. ولكنه لا يُزعجه .. شعر بثقل جسده ،
 فرك عينيه بيده اليسرى فإذا بمادة لزجة حمراء تلتصق بوجهه !
 فُتحت عيناه على مصراعيهما .. مادة زلقة حمراء تملأ أصابعه !

دم !!!

يده اليمنى تُمسك بسكين صغير مغموسة في الدماء ! .. أصابعه
 تقبض على سكين مطبخ صغيرة ذات مقبض خشبي مُلطخة بالدماء
 الباردة المتجلدة .. ينتفض جسده ويُلقى بالسكين على الأرض ..
 قميصه الأبيض مُلطح بالدماء ، عقارب الساعة تُشير للرابعة عصراً !
 إنه الوقت نفسه الذى نام فيه الليلة الماضية .. نزع قميصه وألقى به
 بجوار السكين على أرضية الغرفة السيراميكية وركض للحمام ..
 انتابته حالة من الهستيريا عندما رأى قطرات الدم المنتشرة بوجهه
 أمام المرأة ، بعض الخصلات البيضاء يتخللها اللون الأحمر الداكن ..

حاول تهدئة نفسه ، ظن للحظة أنه طعن نفسه، بحث في جسده
بالكامل عن طعنة أو جرح ولم يجد ! ..
« هل قتلت ؟ »

يسأل نفسه ! ولا تُجيبه نفسه !

نظر لوجهه مُجدداً بالمرآة .. صفع نفسه مئات المرات حتى تأكد
أنه على أرض الواقع ! .. تذكر ذلك الكلب الذى ضربه حتىلقى
مصرعه .. تذكر أنه فجأة وجد نفسه أمام الكلب يُمسك بعصا
كبيرة من الخشب وأمامه كلب ميت !
عاد لغرفته .. تفحص قميصه الأبيض المغموس بالدم البارد
الجاف !.. تفحص السكين ، سكين مطبخ عادية يُمكن امتلاكها
بسهولة .. (ثلج) يزيد من نعيقه العشوائى ، يطير فى أنحاء الغرفة ..
وفمه يُسقط قطرات من الدماء ..

يستقر على أكتاف (أحمد) يهمس بصوته الناعقولغته التى لا
يفهمها سواهما : « الدماء هى ما تسرى بداخل جسدنا .. أنت لا
تراها يومياً ، ولكنها تحفظ كل شبر فى جسدك .. تعرف طريقها
جيداً ، تحفظ انحناءات جسدك ، ولكن عندما تراها خارج جسدك
تُصاب بالفرع ! »

يسقط (أحمد) على الأرض أمام القميص والسكين .. عيناه لا
تتغلقان ولو للحظة .. قلبه لا يتوقف عن ضخ الدماء فى جسده

بسرعة جنونية .

يهبط ثلج على القميص والسكين ويبدأ بلعق الدماء بلسانه القصير..

ينهض (أحمد) من جلسته بعد نصف ساعة .. كانت ضربات قلبه قد انتظمت إلى حدٍ ما .. وأطرافه قد هدأت من سباق الارتجاف ، بينما عقله لا ييث صوراً تدل على براعته أو إدانته !
أسند يديه على حوض الحمام أمام المرأة يتأمل عينيهِ اللتين تجمد البريق بداخلهما .. يقولون : " عند القتل يتجمد البريق بداخل العين .. لتتحول بعدها لعيون باردة لا تبث ما يدور بداخل روح صاحبها . "

عاد للغرفة بعد أن غسل وجهه و يديه عدة مرات، وبدل ملابسه.. أمسك بقميصه والسكين الملطخين بالدم البارد المتجمد ، ونزع بنطاله و أغرقهم بمياه البانيو و جعل الماء البارد يتخللهم لبعض الوقت .. فحص باب شقته وحذاءه (النايك) الأزرق .. كل شيء كما كان قبل أن ينام !

ارتدي ملابس مناسبة للخروج ونسي تغطية رأسه بقبعة شتوية (آيس كاب) وخرج من منزله قاصداً أقرب بائع جرائد ، اشترى أربع جرائد مختلفة، ظل بائع الجرائد مُحدقاً في شعره الثلجي و لكنه لم يهتم .. عاد لمنزله وأغلق الباب بإحكام و بدأ يتصفح الجرائد،

تاريخ الجريدة يوضح أنه ظل نائماً لأربعة وعشرين ساعة متواصلة .. ولكنه لم يجد أخباراً عن قتل شخص بسكين !

ظل حبيس منزله ذلك اليوم ، لم يأكل و لم يُجب على مُكالمات (هشام) الهاتفية، وشرب بالكاد من الماء ما يروي ظمأه .

لم يغافله النوم حتي الصباح التالي .. عندما تستيقظ ذات مرة لتجد نفسك قاتلاً ربما يهرب منك النوم للأبد كما يهرب الدم و ينتقل بين العروق .

قفز في ملابسه واشترى أربع جرائد أخرى بتاريخ اليوم، وبدأ رحلة البحث عن جريمة قتل بسكين كالأمس .. كانت الأخبار كلها تصطف فوق بعضها في الجريدة كأخبار الأمس وكأن الجريدة تنشر مجدداً بصيغة أخبار مختلفة.

الرئيس يتوعد بالقضاء على الإرهاب الماكث في سيناء .

الزمالك يتصدر الدوري المصري بعد غياب سنوات .

فتوى جديدة قيد النقاش عن قيادة المرأة للسيارة بالسعودية .

كانت الأخبار على هذا المنوال ..

حتى وقعت عيناه على خبر كان في أواخر الجريدة ..

« مقتل أستاذ جامعي داخل مكتبه بالحرم الجامعي . »

قرأ الخبر بسرعة ولكنه عاد ليقراه بتمعن بعد السطر الخامس

بقلم : إسماعيل عوض . نشر في : 2014/11/22

« في الأمس وُجد الأستاذ : أشرف مصطفى ، مقتولاً في مكتبه بالحرم الجامعي بجامعة عين شمس .. حيث اكتشف الأستاذ : إبراهيم محمود الذي يدرس بنفس الجامعة جثته مُلقاه على أرضية المكتب ملطخة بالدماء، وأسرعت فرقة من المباحث الجنائية و استدعت فريق الطب الشرعي لفحص الجثة.

وقد تبين بعد فحص الجثة الآتي : تحديد وقت الوفاة ما بين الرابعة عصرًا إلى الرابعة والنصف، وتم تحديد سبب الوفاة إثر طعنتين بسكين مطبخ من خلال فحص طول عمق الجرح في منطقة القلب.. و مازالت التحقيقات جارية لكشف باقي ملابسات الجريمة ».

قرأ أحمد الخير مرات و مرات .. و نظر للصورة الملحقة بالخبر كُتب أسفلها بخط صغير (الأستاذ أشرف مصطفى)

رجل في الخمسين من عمره ، ذو أنف مُفلطح يتحمل ثقل نظارته ذات العدسات الكبيرة ، رأسه قد أصابها الصلع .. وذقنه منشورة بالشعر النابت حديث العهد .. صارم الملامح ربما لو رأيته في الشارع مصادفةً لعلمت من النظرة الأولى أنه يمتهن التدريس في الجامعات .

« جامعة عين شمس ؟ » قالها أحمد في نفسه ..

الجامعة في القاهرة تبعد عن منزله بساعات سفر طويلة، كما أنه
في الرابعة تماماً !

من المستحيل أن يكون هو القاتل، كم فكر في ذلك ولكن صار
الدم و السكين ذلك اللغز الذي لم يتوصل لـه ! حتى قاربه الجنون !
أخرج السكين من البانيو و ظل يتأمله .. سكين صغير مناسب
للتقطيع، ذو قبضة خشبية قائمة اللون، أخذه و ذهب للمطبخ يبحث
عن شبيهه فلم يجد في مطبخه إلا سكينين واحداً كبيراً و آخر صغيراً
ذوي قوابض بلاستيكية اشتراهما ذات مرة و لكنه لم يستعملهما
كثيراً..

سمع رنين هاتفه فألقى بالسكين في المطبخ و تتبع صوت الهاتف إلى
غرفته ..

أمسك بالهاتف ليجد رقماً غريباً يتصل به ..

(13)

فتحت (دينا) باب منزلها لتجد والدتها تجالس امرأة في الأربعين و
فتي في العشرينات .. يتبادلون الصمت للحظات قبل أن تنطق دينا
بالإنجليزية : « مرحباً » مع ابتسامة و انحناء بسيطة ، انفجرت أمها
في ضحك مع الجالسين و قالت لها : « دينا يا حبيبي ، تعالي سلمي
علي الضيوف » تمت تلك المرأة الأربعينية: « ما شاء الله زي
القمر! » فقالت دينا شاكرة إياها : « ثانكس ! .. آه قصدي
شكراً! »

ضحكت أمها و لكن لفترة أقصر هذه المرة، وقدمت لها
الضيوف: « دي خالتك (كوثر) لسه جاية من مصر حالياً .. (كوثر)
صاحبتني من واحنا في ثانوي وطبعاً لما جت لندن كان لازم تزورنا »
تمتت (دينا) : « أهلاً وسهلاً ! »
ثم أشارت أمها للفتى العشريني : « و دا ابنها يوسف »

كان فتي في الثامنة والعشرين على الأرجح، شعره أسود ناعم
قصير و ذقنه تُزين وجهه النحيل، عندما قام من جلسته ليحيي (دينا)
اتضح أنه أطول منها بفرق بسيط .. مد يده لتحية دينا و قال بلهجة

إنجليزية متقنة : « أنا سعيد بمقابلتك »

شكرا ..

حسناً .. ما رأيك بالتحدث قليلاً بالشرفة .

.....

ليس من المستحب الجلوس و سط العواجيز .. كما أنني قد

أصبت بالملل من أحاديثهم !

حسنا لا مانع .. ولكن هناك شيء عليك أن تعلمه قبل ذلك.

ماهو ؟

أمي تتقن الإنجليزية كما أنها تتحدث بها بطلاقة ..

احمر وجه (يوسف) ونظر لوالدة (دينا) بخجل، لم تمنع (دينا)

نفسها من الضحك، ضم (يوسف) كفيه و تنحى لوالدة (دينا)

معتذراً : « أنا آسف ! .. ماكانش قصدي ! »

احنا عواجيز ياعم يوسف! متشكرين.

قالتها والدة (دينا) فيما تابعت (دينا) ضحكها ..

في الشرفة وقف الاثنان يتأملان مساء لندن ويستنشقان هواءها

العليل حتي أفسدته ((دينا) بإشعالها سيجارة (مالبورو) فقاطع

(يوسف) الصمت بضحكة وقال : « دي أول مرة أشوف بنت
بتدخن ! »

لم تسمع ديناً ما قال جيداً فأعاد ما قاله باللغة الإنجليزية.
بتتكلم إنجليزي ليه ؟
بستعرض ثقافتى

في مقولة بتقول « ابق حيث يوجد الدخان فالأشجار لا يدخنون »
.. عمرك شفت تاجر مخدرات بيدخن ؟
مع أن المقوله غلط .. بس طباح السم بيدوقه.
ابتسمت وأردفت : « مقولتك انت اللي غلط على فكرة ..
مقولتليش .. جى لندن ليه ؟ »
تقدرى تقولى سياحه .. ممكن سيجارة ؟
ارتفع حاجبها وسألته : « انت بتدخن ؟ »
لا .. بس مش عايز أتاخر فى المخدرات !
ضحكت وناولته سيجارة، أشعلها بقداحتها الزينو وسحب أول
الأنفاس بصدرة و بدأ يسعل .. ضحكت (دينا) فقال : « شكل دور
تاجر المخدرات لايق عليا أكثر »

و استمرا في الضحك ..

obeikan.com

(14)

جاء صوت (سُهاد) من الجهة المقابلة للهاتف لم يُجب أحمد لثوان ..

ثم قام بالرد وهو حذر لكل كلمة يقولها : « مين ؟ »

أنا سهاد ، يارب تكون فاكرني !

استجمع ذاكرته المهشمة منذ يومين .. حتى مر وجهها برأسه :

« آه .. عاملة ايه ؟ »

أنا كويسة، المهم انت ؟ .. بقيت أحسن دلوقتي ؟

أهو بحال أفضل أم أسوأ ؟! .. الإجابة بين الاثنين ولكن مؤشر

لسانه يميل للإجابة الأولى : « كويس الحمد لله ! »

طيب الحمد لله !

جبتي رقمي منين ؟

ترددت قليلاً ولكنها أجابت : « سجلته يوميهها علشان أطمئن

عليك بعدين .. انتا متدايق علشان أنا أخذت رقمك ؟ »

لا .. طبعاً مفيش مشاكل !

طيب يا سيدي فضي نفسك الساعة 8

قال بتعجب : « ليه ؟ »

مسرحيتي هتتعرض النهارده و لازم تحضر ..

انتِ بتمثلي !

اه .. يعني على قدي .. المهم هاتيحي ؟

تردد قليلا ثم أجاب بالموافقة، والتقط ورقة صغيرة و قلمًا ودوّن عنوان المسرح .

في تمام الثامنة كان وسط المتفرجين على العرض يرتدي الآيس كاب الشتوي رغم أن ازدحام الناس كان قادراً على تحويل بدايات شهر ديسمبر لصحراء !

لم يترعه للون شعره الثلجي .. ربما ملامحه كفيلة بإبعاد الناس عنه..

مسرح صغير به كراسٍ خشبية تناسب عروض الممثلين المغمورين.. الصف ما قبل الأخير كان يناسبه .. دقائق وأظلم المسرح وفتح الستار، تذكر أنه لا يذكر اسم العرض و ربما ظن للحظة أنه بالعرض الخطأ.. فسأل الجالس جواره عن اسم العرض فأجابه : « عذراء الصعيد »

أوماً برأسه ووجهها ناحية خشبة المسرح ..

استعراض قصير بدأ به الممثلون على إيقاع صعيدي مع أغنية تنتمي ألحانها لسلم الصبا الموسيقي .. أما كلمات الاستعراض فكانت صعبة الفهم، تظل لهجة الصعيد لغزاً يصعب عليه فهمه ..

الممثلون يتراقصون بالجلابيب و الألوان الداكنة.. عدا فتاة تتصف

الأربعة ممثلين ترتدي زياً أحمر فاقع اللون ومنديلاً يلف رأسها الصغير..

صفق المشاهدون بعد انتهاء الاستعراض وقالت الفتاة ذات الزي الأحمر : « وبعدين يا بوي ! » .. فرد عليها الممثل المقابل : « يا بنيتي لازم تتجوزي حمدان لجل الفضيحة »

وجهت نظرها للمشاهدين وقالت : « صعب .. صعب يا بوي ! » ثم تولي الحديث مجرى آخر وتعمقت اللغة أكثر حتى ظن أحمد أن المسرحية مكتوبة بإحدى شفرات الحرب العالمية الثانية .. وعندما انتهى المشهد بصراخ الفتاة ذات الزي الأحمر (سهاد) وسقوطها على المسرح بعد أن ضربها الممثل المقابل (والدها) بكفه .. أظلم المسرح وانقطعت الموسيقى فجأة ! إلا من بعض الأضواء الصادرة من هواتف الجالسين بالصف الأول.

تكاثرت التتمتات بين المشاهدين .. ثم ظهر فتى في الثلاثين تقريباً على خشبة المسرح وقال : « معلش يا جماعة النور قطع .. هنجاول نكمل العرض من غير موسيقا و أضواء .. إحنا آسفين جداً يا جماعة لكن مش ذنبنا ! »

دقائق واستأنف العرض مجدداً .. وانسحب معظم المتفرجين .. لم يفهم أحمد كلمة من العرض و مع ذلك تابعه .. كان يشعر بالملل القاتل ولم يعلم ما الذي يجبره على إكمال هذا العرض .

عند الاقتراب من نهاية العرض كان المشاهدون قد تقلصوا لعشرين مشاهداً على الأكثر متناثرين على الكراسي الخشبية .. حينها شعر أحمد ببرودة الطقس و احتياجه لبعض النيكوتين .

في المشهد الأخير من المسرحية طعن والد تلك الفتاة ابنته بسكين في قلبها !

تذكر أحمد السكين ذات الدماء الباردة التي وجدها .. تذكر وجه الأستاذ المقتول بجامعة عين شمس .

شعر أن الطعنة على خشبة المسرح تقتحم صدره وكأنها طعنة حقيقية .. صفق المشاهدون بحرارة ولكن التصفيق لم يكن حاداً لقلّة عددهم .

أغلق الستار يدوياً ! .. ثم فتح مجدداً ولم تتوقف الجماهير لحظة عن التصفيق .. لم يستطع أحمد أن يجزم أنهم جميعاً فهموا مجريات القصة و لكنه صفق معهم .

عندما ظهرت (سهاد) على خشبة المسرح لتحيي الجماهير أضيئت الأنوار مجدداً فرأت أحمد يجلس بالمقاعد الأخيرة .. لوحث له بيدها فاستقبل تحيتها بمثلها و ابتسامة صغيرة على شفثيه .

(15)

أنهى (وليام) كتابة قصته الجديدة (الجانب الآخر) على اللاب توب الخاص به، استترف منه ذلك علبتين من المربورو وزجاجة بينا كولا وزجاجة من الصودا الباردة (كوكاكولا) .. وخمس ساعات متواصلة من الكتابة .

تنهد براحة للحظات وراجع ملف القصة عدة مرات وأضاف بعض النقاط و علامات الاستفهام أو تغيير جزئي في جملة أو استبدال بعض الكلمات ثم ضغط (save) وأغلق ملف القصة، أمسك برأسه من فرط الصداغ وارتمى على سريره لدقائق مغمضاً عينيه في نشوة !

رتب الأوراق البيضاء في مطبعته الصغيرة (HP) و وضعها بداخل المطبعة ، أشعل سيجارة و راقب أوراق قصته و هي تخرج للنور .. أمسك بالأوراق المطبوعة بحرص وكأنه يُمسك بمولودٍ جديد .. اتصل بدينا التي أجابته بسرعة فقال لها وكأنه في سباق : « هل أستطيع أن أراك اليوم ؟ »

نعم تستطيع ! .. و لكن لماذا ؟ ، لدي بعض الـ ..
 قاطعها قائلاً : « لن يستغرق ذلك خمس دقائق ! »

قابلها بعدها بساعة وسلمها أوراق القصة .. وعندما عادت إلى
 منزلها بدأت تقرأ في هدوء وتركيز ..

(16)

مر أسبوع منذ ذلك العرض المسرحي التابع لـ (سُهاد)، التقى أحمد
بها مراتٍ عديدة بعد العرض .. كان إما أن يتبادلا الحديث في مقهى
(البن البرازيلي) أو إحدى مقاهي محطة الرمل، كان يرى في أحلامه
بشكل يومي وجه ذلك الأستاذ الجامعي المقتول ، الحلم نفسه يتكرر
بشكل دائم .

(يرى ذلك الأستاذ الجامعي يجلس في أركان إحدى الغرف ..
ويرى نفسه يحمل سكين مطبخ ذا مقبض خشبي ويتحرك قبالة،
يتزف الأستاذ الدم بلا طعن وتشكل السكين دماء جاءت من
الاشيء ! و ثلج يطير حوله و ينعق بصوته الحيواني المدعور..
يستيقظ بعدها على صراخه و ينعق ثلج المتواصل) .

حكى له (سُهاد) كل شيء عنها تقريباً أثناء لقائهما المتكرر،
كانت تتحدث بلا انقطاع حتى تصمت فجأة فيبدأ هو حديثه القصير
المختصر فتبدأ هي من جانبها الحديث مرة أخرى ..

حكّت له عن والدتها التي توفيت بعد ولادتها مباشرة و اعتناء أختها مريم بها منذ الصغر وعن والدها الذي اختفى فجأة و هي بعمر الثالثة عشرة و لم يعلم أحد سبب الاختفاء ، بالطبع لم يحدثها عن ثلج ولا عن نصف ظله المفقود، ربما تشاركنا في بعض الأحداث (اختفى والدها واختفى نصف ظله) هل يتساوى نصف ظله بوالدها؟

كانا يحتسيان القهوة الساخنة ذلك اليوم في البن البرازيلي بينما كان المقهى يعج بالضجيج بسبب تلك المباراة بين فريقين لم تعرف (سُهاد) اسميهما ..

قالت مقاطعة الصمت : « أنا باكره الكورة! »

ابتسم (أحمد) في مرارة فأكملت : « لعبة سخيّة ! اتنين و عشرين لعب بيحروا ورا كوره.. مش فاهمة ايه المميز في الموضوع؟»

ارتشفت بعض قطرات من القهوة فترك أحمر الشفاه الكريمي باللون الوردي أثراً على الفنجان و قالت محاولة تفادي خطأ توقعت أنها وقعت فيه : « إوعى تكون بتحب الكورة ؟! »

ابتسم وهز رأسه بالنفي فتنهدت وقالت : « الحمد لله ! »

وعاد الصمت مجدداً قبل أن تقطعه من جديد : « ممكن سؤال ؟ »

أوماً برأسه فسألت: «هو انت ليه على طول لابس (الآيس كاب)؟»

شعري خشن .

ضحكت : « مش قصدي .. أقصد ليه ماتصبغش شعرك بالاسود مثلاً .. بعدين الشعر الأبيض مش عيب ! »

أنا عندي 23 سنة يا سُهاد .. مش عيب ايه بس ؟!
ما اقصدش ! .. أقصد إنك لسه صغير .. حساك كدا قافل على نفسك .. مش سايب لنفسك الراح انك تعيش سنك .. فاهمني ؟
أوما برأسه و أشعل سيجارة بينما تكمل حديثها : « يعني اخرج .. اشتغل .. دور على عروسة .. »

انتابها السعال من دخان السيجارة و نفضت الدخان أمام وجهها بيدها وقالت والدخان يملأ قصبتها الهوائية : « بطل سجائر مثلاً »
ضحكا و أكملوا احتساء القهوة بهدوء ..

أحس باحتكاك كرسيه بكرسي آخر .. التفت ليجد رجلاً في الخمسين تقريباً يجلس خلفه، فتحت عيناه على مصراعيهما لرؤية الرجل .. كان هو ذلك الأستاذ الجامعي المقتول !

ابتسم له الرجل وقال معتذراً : « لأمؤاخذه يابني ! »
لم يجب (أحمد)، ظل محققاً فيه حتى هبط ثلج على كتف الرجل ..
أخرج قصاصة الخبز من جيب سترته السوداء و نظر للصورة جيداً ،
ثم أعاد النظر للرجل الذي قد أشاح بوجهه عنه ..

مالك؟ فيه إيه ؟

لم يجب وكأنه قد نقل لتوه لجانب آخر من هذا العالم ، جانب
مظلم لا ترى به أصابع يدك، وعلى الجانب الآخر قد تعمي الأضواء
عينيك!
أحمد !

قال ثلج بصوته الحيواني الرتيب : « الفردوس لا يجمع القاتل
والمقتول .. لم يذهب للفردوس بعد، مازال بالدنيا .. كما لم يكن
وقت رحيلك بعد »
أمسكت (سُهاد) بيده فانتبه لوجودها بجواره، استطاعت سحبه
من ذلك الجانب المظلم للجانب المضيء .
مالك؟ فيه إيه ؟!

لم يجب فأكملت : « طب يلا بينا نتمشى شوية »
وسحبته من يده وأثناء رحيله ألقى نظرة على ذلك الرجل .. لم
يكن هو ذلك الأستاذ الجامعي كان شخصاً بديناً، أسمى البشرة،
كثيف الشعر الأسود المجعد .. ملامحه عكس ذلك الأستاذ المقتول .

(17)

استيقظت في صباح اليوم على مكالمة (يوسف) الهاتفية يدعوها للقاء في مقهى (متحف توت) الذي اعتادت هي و (وليام) الذهاب إليه عادةً .. كانت علاقتهما قد اتخذت مُنحى الصداقة بقوة وبسرعة، فخلال أسبوع واحد التقيا عدة مرات ولأوقات كبيرة .. فوجدت أن الفرصة قد تكون مناسبة ليتعرف (وليام) على (يوسف)، خاصةً أنهما أعارت يوسف إحدى قصص (وليام) ليقرأها ..

كان المقهى خالياً من رواده في هذا الصباح نصف المشمس إلا من بعض الطلاب الجامعيين المتراسين حول طاولة دائرية بنهاية المقهى يعلو صوتهم بالضحك حيناً و يختفي حيناً، و فتاة تجلس بعيدة عنهم تقرأ كتاباً (لباولو كويلو) بعنوان (فيرونیکا تقرر أن تموت) مما جعل الثلاثة ينتقون طاولة في موقع متميز في المقهى .. ما إن جلس الثلاثة حتى قال (يوسف) بلهجة مرحة : « أنا سعيد بلقائك أيها الأديب » ابتسم (وليام) و رد : « و أنا سعيدٌ أيضاً »

لقد قرأت لك قصة من سلسلة (آرثر هولمز)، إنها السادسة على ما أعتقد .. كانت بعنوان القفل الفضي ..

أتمنى أن تكون قد نالت إعجابك.

حك يوسف ذقنه وقال : « في الحقيقة لم تعجبني كثيراً »

انتبهت (دينا) لحديثهما فأكمل : « كان الدافع للقتل غير منطقي.. من ذا الذي يقتل لأجل إنقاذ فتاة ؟ »

لقد كان السؤال المطروح في تلك القصة واضحاً .. ماذا لو خيرت بين فقدان شخص تحبه أو أن تكون قاتلاً ؟! لم تكن بالواقعية التي كنت أنتظرها .. الواقع يختلف كثيراً عن الروايات .. لا يوجد شخص في الواقع يختار أن يكون قاتلاً كي لا يفقد شخصاً عزيزاً !

أشعل وليام سيجارة (مورلوبورو) وقال بلهجة هادئة : « لن أبلغ في قول ذلك، و لكنك فقدت شخصاً عزيزاً ذات يوم .. »

أطبق الصمت على يوسف لثوان بعدها قال ضاحكاً : « أتمتهن الطب النفسي أو ما شابه ؟ »

لا ، و لكني ربما أميز الأشخاص أمثالك .. العيون قادرة على كشف الأسرار.

جاء نادل المقهى، شخصٌ مختلف عن ذلك الشخص كثير التعجب، فطلبت (دينا) (الاسبريسو) بينما طلب (وليام) عصير (البينا كولا) و (يوسف) القهوة .. دوّن النادل الطلبات و انصرف.

« على أي حال » قالها وليام واضعاً قدماً فوق الأخرى و أكمل :

« لم أتعرف عليك بالشكل الكافي بعد »

كان ذلك من أحد عيوب (وليام) .. كانت لديه القدرة على طرح أسئلة تجعل المستمع إليه يشعر بتكبره، كما أن حركات جسده لا إراديا تشعرك بذلك !

سحب نفساً من سيجارته و أكمل : « احك لي عنك »
ضحك يوسف وقال في استهزاء : « يبدو أنك تتمتع بثقة عالية في النفس .. سأحكى ولكن أرجوك لا تحلل شخصيتي ! »
يمكنك أن تحكي كيفما تشاء .. ليست عندي القدرة على التحليل على أي حال .

حسناً ! .. اسمي هو يوسف .. أعمل في هندسة الديكور منذ ثلاث سنوات لدى إحدى الشركات الأجنبية، وماذا أيضاً ؟! ..
أمم .. هواياتي هي الرسم و القراءة ..
هذا جيد .. لمن تقرأ ؟

بعض الكتاب المصريين، بالإضافة لبعض الروايات المترجمة لـ (باولو كويلو) و (ألبرتو مورافيا) .
هذا جيد ولكنه لا يكفي ..

جاء النادل و وضع أمامهم الطلبات وانصرف في هدوء .. أضافت (دينا) بعض القشدة على الإسبريسو وقالت : « بدأت أشعر وكأني حبيسة صالون ثقافي، ألا يكفي ذلك ؟ »

قال يوسف لدينا : « هو فاهم عربي ؟ »
لأ..

صاحبك ده غتت أوي !

تناقلت عيون وليام بين الاثنين فضحك و قال بالإنجليزية : « الآن
أحتاج لمترجم ».

ضحكت دينا و ابتسم يوسف بسخافة .

دينا.. بما إنه مش فاهم أنا باقول إيه ، أنا ماعرفكيش من فترة كبيرة
.. بس أنا بدأت أحبك !

هبط الصمت على دينا واحمرّ وجهها بينما يتابعها وليام عاقداً
حاجبيه .. و ارتشف بعضاً من البينا كولاذا الباردة، فقال يوسف
قبل أن يسأل : « كنت أسألها عن طريق الحمام، فهل تعرف
طريقه؟ ».

(18)

كان الشارع مظلماً إلا من بعض الإنارة على جانبي الشارع تتسلل
 بمجدوء لتلقي بنصف ظله على الأرض أمامه .. واضعاً يديه في جيبيه
 من البرد يشعل السيجارة من حين لآخر، كان قد اقترب من بيته
 واقتربت الساعة من الثانية صباحاً، تذكر وجه ذلك الأستاذ الجامعي،
 تذكر الدم البارد المتجمد على يديه .. تنهد وتابع نصف ظله الملقى
 على الأرض ، بدا مشيه أبطأ من اللازم وكأنه ممثل في أحد الأفلام
 الصامتة ، ثابت لا يتحرك، يحتاج لشاشة سوداء ليظهر عليها ما
 يترجم ما هو به .

سهاد .. هل ترى نصف ظله أم تراه كاملاً؟

ماذا لو سألتها ذات مرة عن هدفه .. ؟

لن يكون من المنطقي أن يجيبها بأن هدفه هو إيجاد نصف ظله
 الهارب منه ..

الشارع ليس بالطويل أو القصير .. شارع مستقيم بلا منحنيات ،
 على جانبيه أعمدة الإنارة ضعيفة الضوء والشوارع الجانبية الضيقة،
 ظهر نصف ظل آخر وراءه .. تشبث بالأرض بينما تلج ينعق على
 جانبيه !

اقترب نصف الظل الآخر حتى تجاوزه .. وظهر رجل طويل أبيض الشعر يبدو في الخمسين على الأقل ليس بالنحيف أو السمين، يرتدي سترة شتوية باللون الأخضر الداكن .. نظر له الرجل وأشار له أن يتبعه بلا كلمات، فقط إشارة من يديه !

لم يستطع أحمد الحراك لثوان و هو يتابع الرجل ذا السترة الخضراء الداكنة و نصف الظل وهو يتخذ أحد الشوارع الجانبية، نعق ثلج وتمت بلغته الحيوانية الغريبة : « ذاك هو السبيل .. عليك أن تتبع السبيل ! ».

تحرك أحمد و دلف الشارع الجاني خلف الرجل ليجد الرجل واقفاً على آخر الشارع وكأنه في انتظاره، ينظر له بعينه الباردتين الخالية من البريق .. تقدم أحمد حتى صار خلفه مباشرة فأكمل الرجل سيره ودلف في أحد الأزقة الضيقة، ليجد باباً من الخشب طوله متران على الأرجح ، قد تظن من النظرة الأولى للباب أنه مجرد مخزن قدم وبال ..

طرق الرجل الباب مرتين وفي الثالثة فُتح الباب من تلقاء نفسه، أشار الرجل لأحمد بالدخول، فتبعه أحمد للداخل .

غرفة كبيرة يضيئها مصباح كهربى ضعيف متدلياً من السقف وتلفاز قديم من نوع (LG) يضيء بشاشة رمادية و يصدر شوشرة تصيب بالصداع، و سرير بكرسيين من الخشب بالين ..

جلس الرجل على أحد الكرسيين وأشار لأحمد بالجلوس على الآخر ..

« أنا ملّيت ! » قالها الرجل و هو يتشاءب، لم يرد أحمد فأكمل :
« أنت كمان ملّيت »

أخرج الرجل علبة سجائر كليوباترا من سترته الخضراء الداكنة وأشعل منها سيجارة بعود ثقاب ماركة (ماكبث) و أكمل : « فعلاً الحياة بالنسبة لنا مملة .. الوحدة - الأحداث الغريبة - الشعر الأبيض - الملامح اللي بتكبر بسرعة ».

يومئ أحمد باندهاش فيكمل الرجل : « أنا زيك بالظبط ، كبرت قبل أواني .. شعري ابيضّ في سن صغير .. نص ظلي اختفي ! »

ضحك الرجل بمرارة وأضاف : « شيء يضحك لما تجري ورا ظلك طول عمرك . »
انت مين ؟!

يمد الرجل يده و ينطق باسمه : (أحمد هلال)
ينقبض قلب أحمد و ينعق ثلج ثم يطير و يهبط على كتف الرجل

فيداعبه الرجل بأصابعه ..

مستغرب ليه ؟ .. كنت متوقع هتكون ازاي بعد ثلاثين سنة ؟ ..
عامه ماتخافش ! .. أنا صورة مستقبلية منك لكن مش انت ..
لم ينطق أحمد بكلمة إضافية فأكمل الرجل (أحمد ذو الثالثة
والخمسين من العمر): « عشان توصل لنص ظلك الضائع لازم تقتل
نص ظلك الثاني »

ما فهمتش !

لما كنت قاعد مكانك من ثلاثين سنة ما فهمتش برضو .. لكن لازم
تفهم ..

« جريمة قتل فى الشرفة »

بقلم : إيملى ستارك .نشر فى : 7 / 1 / 2015

(كثيرٌ منا يعرف " جاك السفاح " ذلك السفاح الذى سبب الرعب فى ضواحي لندن ، وها نحن فى بداية عام 2015 ويعود مجنون آخر ليُكمل سلسلة الجرائم المتكررة ..
بالأمس قُتل الأستاذ (جيمس فليس) فى شرفة منزله القائم فى شارع (فليت) على يد ذلك السفاح المجهول الذى تتابعه الشرطة مُنذ بداية سلسلة الجرائم المتكررة .
الجدير بالذكر أن ذلك السفاح يتبع نفس الأسلوب فى القتل، وذلك ما جعل المُحققين يتأكدون أنه ذلك السفاح.. وقد أوضح ذلك فحص الجثث)

obeikan.com

(19)

دلف (يوسف) إلى منزله بجسده ولكنه كان قد ترك قلبه بحوزة
 (دينا)، أمران يجعلان عقله يكاد ينفجر ، أولاً : كيف يتيقن إن كان
 يجبها أم لا من خلال هذه الفترة القصيرة التي قضاها معها ؟
 ثانياً : ما هو شعورها تجاهه ؟!

شعر ببعض الإرهاق، نظر لساعة الحائط الخشبية : الثامنة
 والنصف!

التقط علبة دواء القلب من فوق المنضدة وابتلع قرصاً منها مع
 كوب من الماء .. يعاني من ضعف عضلة القلب منذ كان صغيراً،
 جعله أسير الأدوية .. جلس أمام التلفاز فلم يجد ما يستحق المتابعة ..
 فكر بالتحدث مع (دينا) عبر الهاتف ولكنه تراجع عن الفكرة ..

« يوسف ! »

كانت تلك والدته ، فالتفت إليها وابتسم فأكملت : « مالك ؟ ،
 وشك مخطوف ».

جعان !

قالها وابتسم ابتسامة أوسع من سابقتها تحمل ما بين طياتها مرارة

قاتلة، وأكمل : « احتمال أطلب دليفرى ، تاكلي معايا ؟ »

أنا لسه واكله من شوية .. بالهنا والشفأ .

التقط هاتفه وطلب رقم أحد مطاعم الوجبات السريعة ، وطلب البورجر ..

دلف إلى غرفته وظل يدور بها وكأنه يبحث عن شيء لا يعرفه ولكنه قد رحل عنه !

وقف أمام المرأة لدقائق يتفحص لحيته المشدبة بعناية، تلك الندبة الصغيرة بخده الأيمن يغطيها شعر ذقنه تُذكره بـ (سعد) .

لم يُخطئ (وليام) عندما قال له إنه فقد شخصاً عزيزاً .. كان ذلك الشخص هو (سعد) : صديق طفولته الذى فقده فى حادث سيارة .. كان يقود (يوسف) سيارته مُنذ خمس سنوات بسرعة جنونية حتى اصطدم بسيارة (نصف نقل)، فتُحت وسادة الأمان على كرسيه كما أنقذه حزام الأمان .. أما صديقه فكان مُجرداً من الاثنين، نُقل بعدها للمستشفى ولكنه فارق الحياة بعد يومين، لم يُصَب (يوسف) إلا بتلك الندبة على وجهه وجرح بقلبه سيترَف الألم إلى آخر العمر .

ماذا كان شعوره وقتها ؟

فلنقل إن الدنيا أسدلت ستائرهما السوداء، ولنقل إن الظلام قد
استبدل مكانه مع النور !
ندبة صغيرة = جرح كبير !

رن جرس الباب ، ففتح (يوسف) الباب والتقط الأكياس التي بها
شطائر البرجر .

قضم أولى الشطائر ولكنه أحس أن الجوع قد اختفى .. فترك باقى
الشطائر ..

لِمَ لا يَختفى الألم مثلما يَختفى الجوع ؟ .. أليس الاثنان ينتميان لقائمة
المشاعر ؟

دقات قلبه لا تنتظم ، أمراض القلب ذات طابع خاص ..

خُلِق القلب ليضخ الجسد بالحياة ..

أمراض القلب = عصيان القلب !

عندما لا يريد (نابض الحياة) الحياة !

فضل النوم وذهب لسريره ولكن عقله رفض ذلك .. رن هاتفه
أثناء إجبار عقله على النوم برسالة على تطبيق الـ (واتس آب) ففتح
تلك الرسالة التي كانت من دينا ، واتسعت عيناه ..

obeikan.com

(20)

جلست (سُهاد) أمام هاتفها لدقائق تراقبه .. تنتظر مُكالمة أو ماشابه .. راقبتها أختها (مريم) ثم نادى عليها، جلسا قبالة بعضهما.. فقالت (مريم) بلا مُقدمات: « إيه حكايتك مع الواد ده؟ »

احمرّ وجهها وابتسمت فظهرت غمازتها اليتيمة على خدها الأيسر.. وبدأت تعبت في شعرها، كانت تلك إحدى علامات الخجل لديها.. فتابعت أختها: « أنا عايزة أقولك خلى بالك بس! »
لا لا لا .. متخافيش ، ده غلبان وطيب والله !
منظره ميريحش .. مش مرتاحاله .

بصراحة لا منظره ولا تصرفاته .. بس ..
صمتت فجأة فابتسمت أختها وأمسكت بيدها وتابعت: « سُهاد،
إحنا لوحدنا في الدنيا ، لو ماخليناش عينا في نص راسنا مش عارفين
هيحصلنا ايه ! »

أومأت (سُهاد) برأسها ..

خلى بالك من نفسك .. انت حبيته ؟

أومأت برأسها مُجدداً ولكن بخجل ..

ابتسمت (مريم) وتنهدت وقالت وهى تترك يدها : « أنا هاروح

أحضر الأكل .. »

مریم ..

.....

هو بابا اختفى ليه وإزاي ؟

ابتسمت مریم بمرارة : « أنا بقالى 7 سنين بدور على إجابة . »
رن هاتف (سُهاد) فأمسكت به لتجد رقم (عادل) مُخرج العرض
المسرحى ، ضغطت زر استقبال المُكالمة : « ألو ! »
صباح الخير يا فنانة ..

صباح النور يا أستاذ
مش هاطول عليكِ ، حنعرض نفس المسرحية الأسبوع الجاي .. لكن
فى مُشكلة !
خير ؟!

إبراهيم مش حيكون معانا ، محتاجين حد يقوم بدور (حامد)
مكانه .. تعرفى بدیل ؟

فكرت للحظات فى شخص يصلح لدور والدها فى المسرحية ،
شخصٍ يبدو عليه الكبر، ذي ملامح جادة .. ومن غيره؟
عندى بدیل يا أستاذ .. بس محتاج تمرين .

مش مشكلة، أعرضى عليه الموضوع .. وممكن من بكرة نبدأ
بروفات.

(21)

طلبت (دينا) من يوسف اللقاء عبر تطبيق (واتس آب) .. والتقىا في صباح اليوم التالى وجلسا فى أحد المقاهى القريبة ، كان المقهى فارغاً تماماً إلا من بعض الرواد المتراصين فى زواياه .. موسيقى (أدىل) كانت الرائجة هناك، فغذّى صوتها العذب آذان رواد المقهى القليلين.

جلسا على إحدى الطاولات الخشبية وطلبا القهوة ، قاطع يوسف الصمت الذى بدا أثقل من المعتاد : « قعدنا وطلبنا القهوة ، وزمانها فى السكة .. نتكلم دلوقتى ولا بعد ما القهوة تيجى ؟ .. خلى بالك القهوة ليها ودان ! »

أشعلت دينا سيجارة (مورلبورو) وتجاهلت ما قاله يوسف فأضاف ضاحكاً : « لازم تبطللى سجاير .. منظرى وحش وأنا قاعد كدة. »

ابتسمت دينا وقالت : « يوسف لازم نتكلم جد شوية .. ممكن؟ »

.....

في البداية انـ...

قاطع كلامها النادل وهو يضع القهوة أمامهما ، أشار يوسف إلى أذنه اليمنى بأصابعه وتمتم بصوت يكاد يُسمع : « ليها ودان ! » وأضاف بعد انصراف النادل : « كملى .. »

فركت (دينا) جبينها، والتقطت أنفاساً من سيجارتها .. جفون عينيها توحى بأنها لم تنم تقريباً، كما أن (الميكياج) قد بدا أجهت مما كان سابقاً ، قالت وعيناها مُثبتتان بعيون يوسف : « انت كنت بتتكلم جد امبارح ؟ »

بكل صراحة ومن غير هزار .. آه ..

تنهدت تنهيدة طويلة أفرغت فيها هواء رئتيها ودخان السيجارة وقالت : « طب انت اتأكدت من مشاعري ؟ »

أجاب بلا تفكير : « مش حتفرق ! »

إزاي ؟

أنا فجأة لقيت نفسى بجبك ، وبفكر فيك على طول .. أعمل ايه طيب ! .. الموضوع مش بإيدى .

حتى لو أنا محستش بدة ناحيتك ؟

صمت ثقيل هبط عليه من سماء غائمة .. إنه دوره فى الكلام ،

عليه أولاً أن يستمع للسؤال جيداً، ثم يحلله، ثم ينتقى الإجابة المناسبة ويراجعها .. ثم : « إيه المشكلة ؟ »

إجابة السؤال بسؤال هي الحل الوسط دائماً .. يتيح للمتحدث فرصة أخرى ليجمع أكبر قدر من المعلومات .. لم تُحب .. فارتشف بعضاً من القهوة وقرر أن يتخذ دورها بالكلام: « ربنا مخلقش المشاعر بأيدينا .. دى الحاجة الوحيدة اللي مابتحكش فيها »

لم تُحب .. فأضاف مُبتسماً : « حنتحوز إمتى ؟ » ضحكت ضحكة بلا معنى ، بينما يتقلب مزاج يوسف كل ثانية، قالت أخيراً : « يوسف، أنت لازم تعرف حاجة أنا مخبياها عن الناس كلها .. حاجة ماينفعش حد يعرفها . »

حلو أوى .. دى البداية ، تقوليلى سر .. يبقى بتتقى فيا .. وبعد الثقة يجى الحب والكلام ده كله .. أنا مُتفائل .. زى ما — .. قاطعته : « أنا بحب وليام ! »

ساد الصمت للحظة ، وانفجر بركان بداخله .. وحاول إخماده ببعض قطرات من القهوة ولكنه اشتعل أكثر .. وكأنه خُلق كى لا يُخمد ..

أضافت: « مش قادرة أحدد إمتى حسيت بكدة .. ومش عارفة

أعمل إليه ؟ »

لم يُضِف شيئاً لما قالت .. لم يُجب .. ظل حبيس الصمت ..
وظلت الحُمم البركانية تسبح فيه بلا تراجع .. فأكملت : « لكن ده
غلط، وأنا عارفة إنه غلط .. مستحيل .. مش عارفة إيه الحل ! »
حب على طريقة (يوسف شاهين) .

أشاحت بوجهها بعيداً، فشعر أنه قال ما لا ينبغي قوله فحاول
إصلاح ذلك : « مش بأيدينا يا دينا .. متضايقيش نفسك . »
أنا مش عارفة أعمل إيه ؟!

لازم الصمت .. لم يُجب ! .. وما الذي يُفترض به أن يقول على
أى حال ؟ .. بعض المعادلات غير قابلة للحل .

(22)

قال (ثلج) بصوته الناعق: « عليك أن تقتل نصف ظلك لتجد النصف الآخر .. حتى تعود كما كنت بظل كامل .. لا أحد يعبأ بك غيرك، لا أحد يرغب بالحياة إلا أنت .. الموت لم يكن يوماً نقيض الحياة، الموت هو الحياة بعينها، الموت هو السبيل الوحيد لإيجاد نصف ظلك المفقود . »

ظل أحمد صامتاً بينما ثلج لا يتوقف عن النعيق، الجسم الخشبي المائل أمامه للبومة الثلجية يُحدث به .. وكأنه يريد التحدث هو الآخر ..

طرق باب منزله فقام من جلسته مُثاقلاً وفتح الباب فإذا به (هشام)، دلف الأخير من الباب ، يحمل بيده بعض الأكياس البلاستيكية مطبوعاً عليها رجلاً يحمل على كاهله عصي مربوط بها كيس قماشى ومكتوب عليها (فتح الله) وتركها على الطاولة أمامه وقال : « أنا جبت أكل عشان نتغدا سوا . »
تسلم .

أثناء تحضير (هشام) للطعام فى المطبخ قال لـ (أحمد) ليقتل الملل :

« سمعت عن الجريمة اللي حصلت في عين شمس ؟ »

تذكر أحمد السكين ، الدم البارد ، القميص المبلطخ بالدماء .. أوماً برأسه فأكمل هشام : « لقو القاتل خلاص .. كان طالب في الجامعة .. بيقول إنه قتله عشان الأستاذ ده اتجوز بنت كان بيحبها الواد ده في الجامعة .. »

وأضاف : « على رأى أم كلثوم (ومن الحب ما قتل) . »
تنفس أحمد الصعداء وقال : « طب الحمد لله إنهم لقوا القاتل . »
تناول الاثنان غداءهم بلا كلام .. إلا من بعض الأحاديث العادية الفارغة من أى شيء .. ثم قال أحمد بعد أن بلع الطعام الممضوغ في فمه : « سُهاد عايزانى أمثل معاها في مسرحية . »
قال هشام والطعام في فمه : « وانت بتعرف تمثّل ؟ »
لا ! .. بس هحاول .. المفروض أروح البروفة بالليل النهاردة .
ولما انت مابتعرفش تمثّل وافقت ليه ؟
صمت قليلاً يُفكر في سؤاله ثم عاد لأول إجابة وصل لها عقله :
« معرفش ! ».

ابتسم (هشام) وأردف : « أنا عارف وافقت ليه . »
في المساء وبعد أن ذهب هشام لدوام عمله ، توجه أحمد للمسرح الذى يُفترض بهم التدريب على العرض به .. تعجب أعضاء فريق

التمثيل لوجهه ذي التجاعيد وشعره الأبيض الثلجي فأجابهم أحمد
قبل أن يسأله : « شيخوخة مُبكرة .. مرض وراثي . »

لم يُعقب أحد بعدها .. أو يرمى ملاحظات على شكله، وبدأ
قراءة النص ودوره بحدوء وسط الفريق .. واحتفظ بنسخة من النص
المسرحي ..

obeikan.com

(23)

مر شهر تقريباً ، كانت الآلام تعتصره يوماً بعد يوم .. كانت تحكى له كل شيء .. حتى أدق التفاصيل .. لم يكن يتذمر بل كان يستمع .. لم تنظر (دينا) مرة لمشاعره المهانة من تلك الأحاديث .. حاول مرات عديدة أن يُقنعها باستحالة العلاقة ومرات أخرى يشاركها الأمل الزائف .

كان يتخيلها مع وليم طوال الوقت .. يداعب شعرها البني الناعم بأصابعه، تداعب أصابعه، تغمض عينيها بنشوة فيقترب منها ، يقبلها ، فتستسلم له بلا شك ! ينفذ الأفكار من رأسه .. فتسبح سكاكين في صدره ، تقطعه لأشلاء من الداخل .

في الغرفه المقابلة له تستمع أمه لأغنية (قارئة الفنجان) لعبد الحليم حافظ .

وسترجع يوماً يا ولدي

مهزوماً مكسور الوجدان
و ستعرف بعد رحيل العمر
بأنك كنت تطارد خيط دخان

فقال لنفسه بسخرية : « كفايه أفورة ! »

فحبيبة قلبك ليس لها أرض
أو وطن أو عنوان
ما أصعب أن تهوي امرأة
يا ولدي ليس لها عنوان

فقال في نفسه : « هل سافر نزار قباني للندن و التقى بـ (دينا)؟ »
قرر بعد ذلك أن يخرج من منزله وليستمتع قليلا بهواء لندن قبيل
رجوعه لمصر .. فلم يبقَ إلا أيام قليلة على رجوعه .. كانت الساعة
قد تجاوزت التاسعة و النصف ..

قاد سيارته الهوندا الصغيرة ذات اللون الأحمر و بدأ يهدف الشارع
تلو الآخر بلا عنوان محدد حتى رأى وليام يستقل تاكسي، فقرر أن
يراقب وجهته بلا مبرر .. ربما فكر قليلاً في دينا وصعدت صورة
وليام وهو يقبلها لرأسه ، فتابع سيارة التاكسي حتى توقفت عند أحد

الشوارع العامة .. نزل وليام بهدوء من السيارة، تبدو ملامحه ثابتة وكأنه تمثال .

ركن يوسف سيارته وتابع تقدمه خلفه بدون أن يراه، لم يلتفت وليام على أي حال، كانت خطواته ثابتة ومركزة بدقة، لو أن يوسف باليابان لظن أنه إنسان آلي .. دلف الزقاق بعد الآخر ويتابعه يوسف بهدوء حتى رآه يخرج سكيناً من سترته ثنائية الوجه، ويقترّب بهدوء نحو رجل أربعيني يدلف الزقاق وحده .

ويبرود حاد طعنه وليام في ظهره وكتف فمه بيده اليسرى حتى لا يصرخ .. حتى أخرج آخر أنفاسه وسقطت تلك الجثة الهامدة التي كانت قبل دقيقتين معبأة بالحياة.

ارتجف يوسف مما رأى فلم يتحرك من مكانه، استبدل وليام وجه سترته ثنائية الوجه بالوجه الآخر وأخفى السكين واختفى عن أنظار يوسف بثبات خطواته التي لم تتغير .

جرى يوسف بفزع لسيارته الهوندا و استقلها راحلاً عن المكان وجميع أطرافه ترتجف حتى صار من المستحيل أن يتابع القيادة، توقف في إحدى زوايا الشارع يلهث وكأنه في سباق، دقات قلبه تزيد، وبدأ العرق يتصبب من جبينه .. التقط قرصاً من دوائه الإضافي الذي يحمله في سيارته وبلعه بلا ماء.

obeikan.com

« جريمة أخرى تنسب لسفاح لندن »

بقلم : إيميلي ستاركشر في : 2015/2/5

« في الخامس من شهر فبراير للعام 2015 سجلت جريمة أخرى لذلك السفاح الطليق منذ بضعة أشهر ويطلق عليه أهل لندن (جاك السفاح) ولم تتوصل الشرطة للسكين المستعمل في الجريمة . في الآونة الأخيرة صار ذلك السفاح حديث لندن، حيث إن الشرطة تنسب له الجرائم الغامضة التي لم يتوصلوا لفاعلها حتى الآن، حتى صار مصدر الشك الأوحده، مما زاد من عدد الجرائم في المدينة. صباح أمس عشر أحد المارين على جثة ملقاة في أحد الأزقة، ملطخة بالدماء ... »

طرق يوسف باب منزل دينا ففتحت له وقالت مبتسمة :

« اتفضل »

جلس أمامها في الصالة يتفحص وجهها الشاحب، تتفحص وجهه المسحوب.

تشرب إيه ؟

مش وقت شرب .. أنا جاي أقول لك على حاجة وماشي بسرعة.
طب ثواني نعمل القهوة.

قالتها ودلفت إلى المطبخ تعد القهوة فيما ظل يوسف يرتب أفكاره.. كيف سيخبرها بما رأى ؟!

عادت بعدها بفنجانين من القهوة، التقط يوسف الفنجان منها
وابتسم قائلاً : « شكراً.. اسمعيني كويس وركزي معايا .. »

ارتشفت قطرات من فنجانها فتابع يوسف قائلاً : « لازم تبعدي
عن وليم .. ولازم نبلغ الشرطة عنه ».

ضحكت دينا وقالت : « بطل هزار شوية ».

أنا ماهزersh .. أنا شفته أول امبارح وهو بيقتل قدام عيني .. استني.

أخرج من جيبه ورقة اقتصها من الجريدة تحمل الخبر، وقال وهو يضعها بين يديها: «الخبر دا أنا شفته قدامي أول امبارح، وليام هو اللي قتل .. أنا حاولت أكذب نفسي لكن دي الحقيقة».

قرأت الخبر بهدوء وارتشفت من فنجانها قطرات إضافية وقالت : «يوسف .. أنا عارفة إنك متضايق علشان بتحبني وأنا مش قادرة أحس بده .. بس دي طريقة قدرة تقنعي بيها إني أكرهه».

تلثم في الكلام ولم يستطع النطق فأكملت: «من فضلك اخرج من هنا .. مش عايزة أشوفك تاني»

obeikan.com

(24)

ظل لأسبوع متواصل يتابع البروفات مع فريق التمثيل، يملؤه الحماس .. لم تعد اللهجة الصعيدية شفرة من شفرات الحرب العالمية الثانية.

حتى جاء يوم العرض ..

في صباح ذلك اليوم استيقظ باكراً وظل محققاً في نصف ظله الذي انعكس على الأرض لثوانٍ، وقف أمام المرأة يتأمل وجهه كبير السن وشعره الأبيض الثلجي.

قبل تلك المباراة التي صار بعدها بهذا الشكل لم يفكر يوماً بالتمثيل، لم يفكر يوماً ماذا سيفعل عندما يصيبه الشيب .

لم يفكر يوماً أنه سيستيقظ ليكون ملطخاً بالدماء وبيده سكين.. ارتدى ملابسه على وجه السرعة، وعباً حقييته بالزي المسرحي والسكين ذي المقبض الخشبي.

أثناء ارتدائه الزي المسرحي (عباءة بيضاء وعمة) دس السكين داخل العباءة ..

بدأ العرض باستعراض مميز قبل أن يدلف المسرح، كان مفتاح دخوله لخشبة المسرح هو انتهاء العرض، قبل أن تنضم سهاد

للاستعراض مالت على أذنه وهمست بصوت منخفض يكاد يسمع:
« أنا بحبك ».

فابتسم وكأنه سيبدأ للتو حياة جديدة تماماً..
تابع نصف ظله الملقى على المسرح وهو يقوم بأداء الدور أمام
سهاد .. بينما تلج يهمس في أذنه: « الموت هو الحل .. لقد اقترب
موعدك ».

(25)

تابع يوسف وليام خلال اليومين المنقضيين، لم يبقَ على سفره إلا يوم واحد فقط.. كان يراقبه عن كثب ويده هاتفه، ينتظره لينفذ جريمة أخرى حتى يُبلغ الشرطة على الفور.. حتى رآه بصحبة (دينا) صباح ذلك اليوم.. تابعهما بهدوء حتى اصطحبها وليام إلى منزله، وأغلق الباب خلفه بإحكام ..

قالت له دينا : « ماذا كُنت تريد مني يا وليام ؟ »

ابتسم وليام وأغمض عينيه للحظة، ثم عقد حاجبيه وتحاشى النظر لعينيها: « سأحضر الصودا أولاً ».

وعاد بعد لحظات يحمل بين يديه زجاجتين من الصودا الباردة، بينما هي تحديق في صورة (آرثر كونان دويل) على الحائط ..
مازلت أحب قصص ذلك الرجل .. أنا فخورة أنك من أحفاده ..
احمرّ وجه (وليام) للحظة قبل أن يشكرها بخجل ..
متى بدأت بالكتابة ؟

منذ الصغر .

كيف بدأ الأمر ؟

حسناً .. هناك شيء لا أستطيع فهمه .. ولكنها الحقيقة على أى

حال، يبدو الأمر غريباً بعض الشيء لذلك عليك أن تصدقني ..
 أو مات (دينا) برأسها فأكمل : « ما إن أمسك القلم والأوراق
 حتى أرى القصة تُرسم أمامي فأبدأ بكتابتها، بالطبع أحاول تحديد
 ملامح القصة قبل الكتابة.. ولكن ما إن أمسك بالقلم حتى أراها
 وكأنها حقيقية أمامي ، أشخاص حقيقيون يتجسدون أمامي .. أفقد
 كل حواسي، فلا أسمع أو أرى أو أشم شيئاً إلا تلك القصة، أحداث
 القصة تمر أمامي كفيلم مُتقن الصنع .. حقيقى بالكامل. »
 هذا غريب ولكني أصدقه .. دائماً ما كنت أعتقد أن الكتاب
 لديهم القدرة على رؤية المستقبل .

هذا مُبالغ فيه قليلاً .. أنا لا أرى المستقبل .. أو لنقل لا أعلم إن
 كان ذلك المستقبل أو الماضي أو مجرد قصة تمر أمامي فحسب .
 جلس الاثنان على الأريكة فتنهد وليام وقال : « دينا، هناك شيء
 أود إخبارك به .. بدون تلك اللعبة .. اتفقنا ؟ »
 ما هو ؟

شعر الاثنان بالنشوة تقتحم جسدهما .. أغمض وليام عينيه وقال
 وكأنه يقرأ كتاباً أو يحفظ ما يقول: « أشعر بانجذاب ناحيتك .. في
 الحقيقة، أنا أحبك ! »

قالها وأشاح ببصره بعيداً وحمرة الخجل تُخيم على وجهه، فقالت
 (دينا) : « هذا مستحيل يا وليام .. »

لاذ بالصمت فأكملت : « أنت تعرف هذا جيداً .. إن ذلك مستحيل .. ولكني أحبك أيضاً .. وهو ما يجعل الأمر صعباً ! »
 نهض من جلسته تجاه طاولة قريية، وأمسك بسكين قصير وقال :
 « أعلم أن ذلك مستحيل .. ومن المستحيل أن تكوني لأحد غيري ».
 اتسعت عيناها لرؤية السكين بيده، تذكرت كلمات يوسف وحديثها معه ..

ماذا تفعل ؟

أفعل ما أحب .

ركض ناحيتها وبحوزته السكين، فقامت من جلستها وركضت ناحية الباب .. حاولت فتحه ولكنها لم تستطع فركضت في اتجاه عشوائى بينما صار (وليام) يطعن كل شيء حوله بهيستيريا .. حاوطه (يوسف) من الخلف وألقى به بعيداً .. ركضت دينا تجاه يوسف فقام وليام من الأرض وقال بلهجة جنونية : « ماذا تفعل عندك ؟ »

أحاول إنقاذها منك .. كما يفعلون بالأفلام .. ألا يبدو ذلك واضحاً ؟ .. آه بالمناسبة تحتاج لزجاج جديد لإصلاح شبائك .. لقد كسرتَه لأدخل !

ضحك وليام بهيستيريا وقال له : « إن كان الحل الوحيد لإنقاذ فتاة هو القتل ، فلن نُنقذها .. أنت من قلت ذلك . »

أنا أكذب كثيراً .. أريد التخلص من هذه العادة !
ركض وليام ناحيته فأمسك يوسف بيده التي تحمل السكين وركله
بباطن قدمه في بطنه .. مما جعله يسقط على ظهره وتسقط السكين
من يده بعيداً .. ثم انقض عليه وأمسك برقبته ..

بينما (دينا) اتخذت ركناً من أركان الغرفة وتكومت كالجنين
تبكى بفزع ..

أحكم قبضته على رقبة وليام .. حتى رحل وليام عن عالمنا بهدوء ..

(26)

المشهد الأخير من مسرحية (عذراء الصعيد) ، الآن على (أحمد) أن يُخرج السكين المطاطية من جلبابه وأن يطعن بها (سُهاد) في صدرها .. نغق ثلج بصوته الناعق وطار بالأجواء بين زوايا المسرح وفوق رؤوس المشاهدين .. يعود لأحمد بعد أن يُنهى جملته الأخيرة بالعرض قبل أن يطعنها ويهمس : « إنها النهاية .. إنها النهاية ! »

أخرج (أحمد) السكين ذا المقبض الخشبي وترك ذلك السكين المزيف بين طيات جلبابه ..

« عشان توصل لنص ظلك التايه ، لازم تقتل النص التاني .. »

تردد صوت صورته المستقبلية بعقله، نظر للسكين نظرة أخيرة .. سكين بارد، يلمع نصله الفضي تحت أضواء المسرح .. اقترب من (سُهاد) ببطء أكثر من اللازم، يتراجع خطوة ثم يُقدم خطوتين .. وقف أمامها وعيناه تلمعان بالدموع .. يبتسم ، فيعبس وجهها .. تهمز رأسها ببطء تنفى ما يتخيله عقلها !

يرفع السكين بجهة عكسية ويطعن نفسه فى بطنه ..
ساد الصمت لثوان قبل أن تصرخ (سُهاد) بينما الدم ينفر من
جسده ليُغطى عباءته .. سقط وعيناه مُثبتتان على (سُهاد) ثم
أغمضت من تلقاء نفسها .. واختفى نعيق ثلج .

(27)

جلس (يوسف) على سريريه .. عقله يكاد ينفجر ، أطرافه ترتعد..
 اختفى من عينيه البريق .. نظر لباطن كفيه يُقلّبهما، من اليوم صار
 قاتلاً، بارداً كالثلج، تحتاحه مشاعر لم تُترجم بعد.. عقله لم يستوعب
 بعد.. ولن يستوعب !

تذكر وجه صديقه (سعد) الذى مات بسببه منذ 5 أعوام !
 تذكر وجه (دينا) وهى ترتعد خوفاً فى أحد زوايا شقة (وليام) !

أن تُصبح قاتلاً لإنقاذ فتاة ، أمر صعب .. ولكنه لم يكن يوماً
 مُستحيلاً !

قلبه يزيد من سرعة نبضه ، لم يعد يؤمن بالتمهل .. كسيارته ذلك
 اليوم ..

أمسك بعلبة الدواء الخاصة به .. أفرغ ما بها بكفيه ..
 كفيه اللذين قاد بهما سيارته ذلك اليوم بسرعة جنونية تسببت فى

موت صديقه ..

كفيه اللذين أحكم بهما على رقبة (وليام) حتى فارق الحياة ..
كفيه اللذين دلفا بالأقراص دفعة واحدة بفمه .. وأمسك بزجاجة
مياه باردة وشربها دفعة واحدة لبيتلع الأقراص ..

نام على ظهره، يُخالطه شعورٌ بالبكاء والضحك معاً !!!

فتزلت دموعه بلا بريق بينما استمر ضحكه المستيرى حتى أغمض
عينيه للمرة الأخيرة .. وتوقف قلبه تدريجياً عن النبض ..

« ضحية السفاح كاتب »

بقلم : إيميلي ستارك نشر في : 2015/2/8

« في مساء أول أمس عُثر على الكاتب الشاب (وليام دويل) مقتولاً
في شقته شنعاً .. كما عُثر على سكين مطبخ مُلقاة في مسرح الجريمة
وقد أوضح الـ »

obeikan.com

(28)

الجاذبية تسحبه لأسفل، يسقط، لا يرى مُستقره، لا يرى مصدر
الجاذبية، كل ما يراه .. لا شيء !

نفق مُظلم قاتم السواد والأعماق بلا قمر يتغذى على ضوئه ..
يسقط لأسفل بلا مُستقر .. لا نهاية للنفق، رأسه لأسفل وجسده
مستقيم لا يتحرك .. فقد القدرة على تحريكه ولا يدرى متى، عيناه
تبحثان عن شيء تلتهمه ولكن الظلام ابتلع كل شيء هنا ولا وجود
لنقيضه ليحاربه .

في النهاية لا مفر من المواجهة .

النفق مُظلم ولكن هناك قوة ما تسحبه لأعلى .. يده اليمنى
مفرودة يُسحب منها وكأنه مُنقاد .. النور الساطع يزحف ليملأ
سكنات النفق المُظلم قاتم السواد ..

« أحمد ! »

يسمع النداء يتكرر عدة مرات .. يفتح عينيه ببطء جراء ذلك
الصوت، يختلط صوت النداء بالدقات الرتيبة لجهاز (نبضات
القلب) ..

الإنعاش

إنعاش

إن عاش

شعر بيد دافئة تُمسك بكفه .. التفت ببطء وبدأت عيناه باستقبال
الضوء الساطع للغرفة والتعود عليها .. تَهْتَز الصورة أمامه لثوان قبل
أن توضح ..

« سُهاد ! » تتم بها بصوته المخنوق، رفعت (سُهاد) عينيها اللتين
اغرورقتا بالدموع .. ابتسمت ولم تتوقف دموعها .. ابتسم لها
واستهلك منه رفع كفه الأيسر وملامسة كفها جهداً وطاقة، قالت
وصوتها مخنوق من الدموع: «أحمد .. عملت في نفسك كدة ليه ؟»

أجابه بابتسامة، فتابعته بكاءها بصمت ولم تنتبه لتشابك
أيديهما..

دلف (هشام) من باب الغرفة وتابعه الطبيب الذى قال بلهجة
لطيفة مُخاطباً سُهاد : « تعالى نسييه يرتاح شوية ، حالته فى تحسن
الحمد لله. »

أضاف (هشام) : « متقلقيش ، هو أحمد كدة .. كل يومين نجيبه

من مستشفى . »

ابتسم (أحمد) فأضاف (هشام) : « شد حيلك يا عم أحمد ..
مش عارف عاجبك فيها ايه ؟! »

نظر له كل من في الغرفة فقال : « المستشفى ! »

خرج (أحمد) من المستشفى بعدها بأيام قليلة .. دلف من باب
مترله فنعكس الضوء المنبعث من الخارج ظله الكامل مُلقى أمامه على
الأرض ..

مشى بخطوات هادئة ناحية المرأة فلاحظ تجاعيد وجهه التي بدأت
تزول ، لم تختفِ بالكامل ولكنها بدأت بالرحيل شيئاً فشيئاً ..
لامس شعره الثلجي الذي بدأت بعض خصلاته تتحول للونها
الطبيعي (الأسود)

ابتسم ودلف إلى غرفته فلم يجد مُجسم البومة الثلجية في مكانه ..
بحث عنه في جميع أرجاء الغرفة بلا فائدة ، وكأنه لم يكن موجوداً
من البداية .

لم يسمع نعيق (ثلج) مُجدداً .. اختفى (ثلج) مثلما اختفى المُجسم
في المساء ذهب للشارع الذي رأى به شبيهه ، دلف إلى الزقاق تلو
الآخر حتى ذهب لوجهته، فلم يجد باب المحزن الخشبي.

تمت .

obeikan.com

شكر وتقدير

لُكُل من ساهم في إخراج هذا العمل للنور ..

وبالأخص :

أمى وأبى .

صديقى ورفيق دربى (أحمد الديب) .

شريكاى الأمثلان فى الضحك والبكاء (كريم أحمد - عصام شمس) .

صديقاى المبدعان (أمنية و محمد) .

صديقتاى القريبتان والعزيزتان (إسراء و أميمة) .

شركاء البهدة (أحمد شعبان - محمد أسامة - أحمد هانى - أحمد

خالد) .

أخى وأختى .

..... (نور) .

شكراً عشان مستحليتى ☺ .

obeikan.com

للتواصل مع الكاتب :

<https://www.facebook.com/ahmed.zewail.92>

<https://www.facebook.com/ahmed.m.zewail1994>